@Tafsircenter

ديفين ستيوارت
Devin J. Stewart

أسباب تراجع الاهتمام بدراسة العلاقة بين القرآن والكتب السابقة في الدراسات الغربية المعاصرة

قراءة تحليلية

ترجمة
محمد إسماعيل خليل

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بديفين ج. ستيوارت Devin J. Stewart (١٩٦٢-):

باحث أمريكي، أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات اللغة العربية بجامعة إيموري في الولايات المتحدة.

تتركّز اهتماماته في دراسة الفقه الإسلامي، والتشيّع، واللغة العربية، والدراسات الأدبية للقرآن.

صدر له عدد من الكتب المهمّة في هذا السياق:

Islamic Legal Orthodoxy: Twelver Shiite Responses to the Sunni Legal System, University of Utah Press, 1998

الأرثوذكسية الإسلامية الفقهية: ردود الشيعة الاثني عشرية على النظام الفقهي السُّنّي.

بالإضافة لعدد من الدراسات والمقالات.

مقدمة[1]:

دراسة العلاقة بين القرآن والكتب السابقة، هي مساحة مركزية في الدراسات الغربية للقرآن منذ نشأتها كحقل علمي في القرن التاسع عشر؛ إِذْ برز في هذه الفترة عددٌ من الكتابات التي باتت مركزية في دراسة هذه العلاقة لاحقًا، مثل: (ماذا أخذ محمد من اليهودية؟) لإبراهام جايجر، و(قصص أهل الكتاب في القرآن) لهاينريش شباير، و(المصادر الأصلية للقرآن)، وقد عادت دراسة صِلَة القرآن بالكتب السابقة للاهتمام مرة أخرى في العقود الأخيرة، وإن كان وفق منهجيات مغايرة.

في هذه الدراسة يؤرخ ديفين ستيوارت لتراجع الاهتمام بدراسة العلاقة بين القرآن والكتب السابقة، والذي تمّ بعد الحرب العالمية الثانية، مع صعود النازية ورحيل كثير من الأسماء البارزة في الحقل، وانقطاع تسلسل التقاليد البحثية التي تركها المؤسِّسون للحقل، ويرى أن هذا التراجع ظلّ مسيطرًا على الحقل رغم انتعاشه في دراسة مساحات أخرى، ويحاول ستيوارت أن يفسِّر الأسباب التي أدّت إلى تراجع الاهتمام بهذه المساحة.

(١) قام بكتابة المقدمة، وكذلك التعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات)، وميّزنا حواشي المترجم بأن نصصنا بعدها بـ[المترجم].

يجمل ستيوارت هذه الأسباب في نقطتين؛ الأولى: هي تراجع الاهتمام بالقرآن لصالح الاهتمام بسيرة نبيّ الإسلام، وهو ما يرجعه للتأثّر بدراسات حياة المسيح في ثلاثينيات القرن العشرين، والتأثّر بمقالة يوهان فوك حول وضع الدراسات القرآنية، وهو ما تزامن مع محاولات إيجاد حوار بين المسيحية والإسلام، مما أدّى لمحاولة إزاحة المساحات التي تثير إشكالًا، وعلى رأسها علاقة القرآن بالكتب السابقة. النقطة الثانية: هي تأثير دراسات ويلفرد كانتويل سميث حول الأديان، والتي تؤكِّد على ضرورة معاملة النصوص المقدّسة في شكل تلقّيها لدى المؤمنين بها، والاهتمام بالتراث التفسيري الذي تركه المسلمون في دراستهم للقرآن بدلًا عن التجاهل الغربي المستمرّ له. أدّى هذان العاملان –وفق ستيوارت– إلى اتجاه الاهتمام في الدراسات الغربية إلى التفسير وإلى سيرة الرسول وإلى تراجع مساحة دراسة علاقة القرآن بالكتاب المقدس.

كما يُلْقِي الضوء على بعض المحاولات المعاصرة لاستعادة دراسة هذه العلاقة، وإن كان عبر استخدام منهجيات مختلفة، تنطلق من إعادة الاعتبار لصنيع القرآن في حواره مع الكتب السابقة لعرض رؤاه العقدية الجديدة.

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تقدّم تأريخًا لإحدى أهمّ مساحات الدراسات الغربية للقرآن، وتحاول بيان أسباب تحوّلاتها، مما يجعل الاطلاع عليها مفيدًا للقارئ العربي.

الدراسة[١][٢]

لا يمكن إنكار العلاقة بين القرآن والتراث الكتابي، ومن أبرز دلائل هذه العلاقة الوثيقة بين القرآن والنصوص الكتابية هي الأدوار التي تضطَلع بها الشخصيات الكتابية في القرآن، ومركزية المفاهيم الدينية الكتابية، مثل: الخطيئة، والآخرة، والجنة، والنار، ويوم القيامة، ويوم الحساب، بالإضافة إلى استخدام المصطلحات الكتابية، واتّخاذ شخصيات من تاريخ الخلاص الكتابي؛ مثل: نوح وإبراهيم وموسى [عليهم الصلاة والسلام] قدوات لمحمد [ﷺ]. وقد تأثرت دراسة هذه العلاقة، بل وأعاقتها أحيانًا، عوامل لاهوتية وأيديولوجية وتاريخية أخرى، سواء من داخل التراث الإسلامي أو خارجه. ويكشف الفحص التاريخي للتراث الأوروبي للدراسات القرآنية أن دراسة العلاقة بين الكتاب المقدّس والقرآن قد شهدتْ ركودًا طويلًا في النصف الثاني من القرن العشرين، لم يُحْرَز خلالها سوى تقدم ضئيل. وتحاول الملاحظات الآتية تفسير

---

(١) عنوان الدراسة باللغة الإنجليزية، هو:

IGNORING THE BIBLE IN QUR'ANIC STUDIES SCHOLARSHIP OF THE LATE TWENTIETH CENTURY

وترجمتها الحرفية: (تجاهل الكتاب المقدّس في الدراسات القرآنية أواخر القرن العشرين)، وقد رأينا تعديل العنوان إلى: (أسباب تراجع الاهتمام بدراسة العلاقة بين القرآن والكتب السابقة في الدراسات الغربية المعاصرة، قراءة تحليلية)؛ ليكون أكثر إيضاحًا لموضوع اشتغال المادة. (قسم الترجمات).

(٢) ترجم هذه الدراسة: محمد إسماعيل خليل، مترجِم، له عدد من الأعمال المنشورة، صدر له مؤخرًا ترجمة كتاب (تشكّل التفسير الكلاسيكي، تفسير القرآن للثعلبي)، وليد صالح، عن مركز نماء للدراسات والبحوث.

بعض العوامل المسؤولة عن هذا التطور، الذي كان له تأثيرات جوهرية على تصوير الإسلام وفهم العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام. ولا يسعى هذا المقال إلى تقديم تاريخ كامل للدراسات القرآنية، حتى لتلك الفترة، ناهيك عن مسح شامل للدراسات القرآنية الحديثة (Reynolds 2010: introduction; El-Badawi 2013: introduction; Stewart 2017; Sirry 2019; Sirry 2021: 135–143). ولكن لتفسير هذه الفجوة لا بدّ من أن نولي اهتمامًا خاصًّا لمجال الدراسات القرآنية بصورة أوسع قبل وأثناء وبعد هذه الفترة المحدّدة.

١. مقدمة:

يمكن القول إنّ الدراسات الحديثة حول علاقة القرآن بالتراث الكتابي قد بدأت جديًّا مع أبراهام جيجر Abraham Geiger (١٨١٠- ١٨٧٤)[١]، مؤسّس اليهودية الإصلاحية، الذي نشر كتابه: Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen (ما الذي أخذه محمد [ﷺ] من اليهودية؟)[٢] في عام ١٨٣٣. وقد مثّل هذا الكتاب تجاوزًا للدراسات السابقة التي تمتدّ إلى ترجمات القرآن في القرن الثاني عشر، التي كانت تُجرى في الغالب ضمن سياق الجدل المسيحي ضد الإسلام (Daniel 1960; Tolan 2002; Bobzin 2004; Cecini 2020). وعمومًا، يمكن وصف غالبية هذا الإنتاج البحثي بأنه جزء من نقاش طويل تمحور حول مسألة ما إذا كانت المواد اليهودية أم المسيحية كان لها التأثير الأكبر على القرآن (Bell and Watt

(١) إبراهام جيجر Abraham Geiger، (١٨١٠- ١٨٧٤): هو مستشرق ألماني وحبر يهودي، وصاحب أهمية كبيرة في تاريخ الإصلاح اليهودي، حيث يعتبر رائد الإصلاحية اليهودية في العصر الحديث، وتمحورت دراساته حول فقه اللغات الكلاسيكية العبرية والسريانية، وحول العهد القديم، طالما آمن جيجر بالمركزية اليهودية في الأديان الكتابية وبمدى تأثير الكتاب المقدّس على المسيحية والإسلام، وربما أشهر كتبه في هذا السياق هو كتابه المشار إليه: Was Hat Mohammed Aus Dem Judenthume Aufgenommen,1833 (ماذا أخذ محمد من اليهودية). (قسم الترجمات).

(٢) الكتاب في الأصل مكتوب باللاتينية وهو أطروحة أبراهام جيجر لنيل الدكتوراه من جامعة ماربورغ، وسرعان ما نُشر بعدها بالألمانية في ١٨٣٣، ثم تُرجم إلى الإنجليزية في ١٨٩٨، تحت عنوان: Judaism and Islam، وقد ترجمه إلى العربية: نبيل فياض، في ٢٠١٨، تحت عنوان: اليهودية والإسلام. [المترجم].

184 :1970). وقد وُجدت بعض الاستثناءات لمؤلِّفين أقروا بتساوي كِلا التأثيرين، مثل: ويليام سان كلير تيسدال W. St. Clair Tisdall في كتابه: Sources of the Qurʾan[١] (مصادر القرآن) (١٩٠٥)[٢]، وقد تبنّى بعض الباحثين الذين تناولوا هذه المسألة موقفًا توفيقيًّا، حيث سعوا إلى تحديد التأثير ضمن ما يُعرف بـ(المسيحية اليهودية) (Schoes 1949; Danielou 1958; de Blois 2002; Crone 2015, 2016; Sanchez 2018). وقد استمرّ هذا النقاش حتى يومنا هذا، رغم أنه ينبغي أن يكون واضحًا أنّ كِلا التراثَيْن كان لهما تأثيرٌ كبيرٌ على القرآن.

يُمَثِّل كتاب هاينريش شباير[٣] Heinrich Speyer، Die biblische Erzählungen im Qoran (قصص أهل الكتاب في القرآن)[٤] =ذروة هذا التوجه

(١) اسم الكتاب كاملًا: The Original Sources of the Quran (المصادر الأصلية للقرآن). [المترجم].

(٢) ترجم عادل جاسم كتاب تسدال إلى العربية، بعنوان: (المصادر الأصلية للقرآن)، وصدر عن منشورات الجمل، ٢٠١٩. (قسم الترجمات).

(٣) هاينريش شباير، Heinrich Speyer، (١٨٩٧- ١٩٣٥): مستشرق ألماني، درس في جامعة فرانكفورت، وحصل على الدكتوراه منها عام ١٩٢١، وعمل كأستاذ في المدرسة الحاخامية بجامعة برسلاو عام ١٩٣٤.

اهتماماته الأساسية تتعلّق بالقصص الكتابي وعلاقته بالقرآن، أشهر كتاباته في هذا كتابُه الذي نُشر عام ١٩٣٥ بعد وفاته: Die biblischen Erzählungen im Qoran (القصص التوراتي في القرآن)، وفيه مقارنة تفصيلية للقصص التوراتي مع القرآن، وقد ترجم نبيل فياض بعض فصوله للعربية في كتاب، بعنوان: (قصص أهل الكتاب في القرآن)، وصدر عن دار الرافدين، عام ٢٠١٨.

(٤) ترجم نبيل فياض كتاب شباير إلى العربية، بعنوان: (قصص أهل الكتاب في القرآن)، وصدر عن دار الرافدين، ٢٠١٧. (قسم الترجمات).

البحثي، حيث يُقدِّم لمحة شاملة لنتائج الأبحاث المتعلّقة بالنصوص المتوازية للمادة الكتابية في القرآن حتى أواخر ثلاثينيات القرن العشرين عندما أتمّ شباير مراجعة كتابه الذي كان في الأصل أطروحته للدكتوراه (Speyer 1931). لكن بعد هذا الإنجاز، أُهملت الدراسات المتعلقة بعلاقة القرآن بالكتاب المقدّس بدرجة كبيرة، ناهيك عن النهوض بها، خلال ما تبقّى من القرن العشرين، حتى أُعيد تناولها بقوّة في القرن الحادي والعشرين.

٢. الانتشار الكبير للدراسات القرآنية:

كانت ألمانيا -بلا منازع- مركز الدراسات القرآنية الغربية طوال القرن التاسع عشر وحتى أواخر ثلاثينيات القرن العشرين. ولم تكن الدراسة الأوروبية للقرآن مقتصرة على مركز واحد فقط، بل جرتْ ضمن تجمّعات علمية وتقاليد أكاديمية مترابطة تيسّرت عبر تبادل المعارف بين الطلاب والزملاء والمجلّات الأكاديمية والمراسلات الخاصّة. وكانت أهمّ حلقات هذه الشبكة شخصيات مثل ثيودور نولدكه Theodor Nöldeke في ستراسبورج، وجوزيف هوروفيتس Josef Horovitz في فرانكفورت، وجوتهلف برجستراسر Gotthelf Bergsträßer[(١)] في ميونيخ. ورغم أن عدد الباحثين والدارِسِين

(١) جوتهلف برجستراسر Gotthelf Bergsträsser، (١٨٨٦- ١٩٣٣): مستشرق ألماني، وُلد عام ١٨٨٦، وهو مختصّ باللغات وبالدراسات الساميّة، حصل على الدكتوراه من جامعة ليبزج الألمانية عن أطروحة حول الحروف النافية في القرآن، وهو أستاذ اللغات الساميّة بجامعة هيدلبرج ثم جامعة ميونخ الألمانية، ومعروف للمثقفين المصريين في حقبة الثلاثينيات والأربعينيات، حيث ألقَى عددًا من المحاضرات في جامعة القاهرة بمصر في العام الدراسي ١٩٢٩-١٩٣٠، حول التطور النحوي في اللغات الساميّة، وحول نقد النصوص، وقد جُمعت هذه المحاضرات في كتب لاحقًا، وقد حرص الكثيرون على حضورها مثل طه حسين، وبسبب اتساع اهتماماته وتعمّقها، فقد ترك عددًا كبيرًا من الدراسات في اللغات الساميّة وفي تاريخ القرآن وفي السيميائيات وفي اللغة العربية، منها: مشاركته في إكمال كتاب نولدكه الشهير (تاريخ القرآن)، و(معجم قراء القرآن وتراجمهم)، و(التطور النحوي في اللغات السامية)، و(أصول نقد النصوص ونشر الكتب)، و(اللامات لأحمد بن فارس)، و(القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني)، و(قراءة الحسن البصري)، و(رسالة حنين بن إسحق في =

المنخرطين في هذا المجال لم يكن كبيرًا، لكنه كان كافيًا لتشكيل مجتمع فِكْري، وقد انهار هذا المجتمع في ثلاثينيات القرن العشرين. ويُعْزَى هذا الانهيار إلى عوامل عدّة، من أبرزها: صعود الحزب النازي إلى السُّلْطة، والاضطرابات التي نجمتْ عن الحرب العالمية الثانية، فضلًا عن وفاة بعض الأعلام. في ثلاثينيات القرن العشرين، نجح الحزب النازي في فرض سيطرته على التعيينات الأكاديمية، وأُقْصِي من المناصب الجامعية الأساتذة اليهود أو المنحدرون من أصول يهودية، وكذلك الأساتذة الذين اعتُبروا أعداء للرايخ. كما مُنعت دور النشر من إصدار أعمال كَتَبها يهود. وإلى جانب هذا، أسهم المناخ السياسي القمعي، وتزايُد القيود والمخاطر التي واجهها اليهود وغيرهم من الرافضين للامتثال للأيديولوجية النازية، في دفع عدد من العلماء إلى الفرار إلى إنجلترا، وفلسطين، والولايات المتحدة، وبلدان أخرى.

تحتلّ شخصية ثيودور نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠)[١] مكانةً مرموقة في تاريخ الدراسات الاستشراقية، ليس لأنه كتب العمل الأكثر تأثيرًا في دراسة القرآن لأكثر من

=

الترجمات السيريانية والعربية لكتاب جالينوس)، كما نشر عددًا من النصوص العربية في القراءات وفي الطب وفي العلوم، مثل: (ابن خالويه: القراءات الشاذة في القرآن). (قسم الترجمات).

(١) تيودور نولدكه Theodor Nöldeke، (١٨٣٦- ١٩٣٠): شيخ المستشرقين الألمان كما يصفه عبد الرحمن بدوي، درس عددًا من اللغات السامية: العربية، والعبرية، والسريانية، وآرامية الكتاب المقدس، ثم درس -وهو طالب في الجامعة- الفارسية والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على

=

قرن فحسب، بل أيضًا لإتقانه المُذهل للّغات الساميّة، بما فيها العربية والعبرية والآرامية والسريانية والحبشية، وقد ألّف كتبًا في النحو العربي والسرياني، إلى جانب مئات الدراسات حول مجموعة واسعة من المواضيع في الدراسات الاستشراقية. وكان غالبية نشاطه التعليمي في جامعة ستراسبورج، التي اعتُبرت نموذجًا للجامعات في الإمبراطورية الألمانية بعد الاستيلاء على الألزاس واللورين من فرنسا إثر تسوية الحرب الفرنسية – البروسية (١٨٧٠– ١٨٧١). وقد درّس نولدكه في هذه الجامعة من عام ١٨٧٢ حتى تقاعده سنة ١٩٠٦، عن عمر يناهز السبعين. وكان من بين طلابه العديد من أبرز المستشرقين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، منهم: إدوارد ساخاو Eduard Sachau (١٨٤٥–١٩٣٠)، وكارل بروكلمان Carl Brockelmann (١٨٦٨– ١٩٥٦)، وكريستيان سنوك هورخرونيه Christiaan Snouck-Hurgronje (١٨٥٧–١٩٣٦) من هولندا، وإدوارد دينيسون روس

=

الدكتوراه عن دراسته حول (تاريخ القرآن)، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، وقد صدر الجزء الأول من (تاريخ القرآن) في ١٩٠٩، وعمل عليه مع نولدكه تلميذه شفالي، ثم صدر الجزء الثاني عن تحرير تلميذه فيشر عام ١٩٢٠، وصدر الجزء الثالث عام ١٩٣٧ عبر تحرير تلميذه برجستراسر ثم برتزل. كذلك درس نولدكه (المشنا) وتفاسير الكتاب المقدّس أثناء عمله معيدًا في جامعة جيتنجن، له إلى جانب كتابه الشهير (تاريخ القرآن) كتب حول اللغات السامية، منها: (في نحو العربية الفصحى)، و(أبحاث عن علم اللغات السامية)، عمل أستاذًا في جامعة كيل ثم جامعة اشتراسبورج، كتابه: (تاريخ القرآن) مترجَم للعربية، حيث ترجمه: جورج تامر، وصدر عن منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٤. (قسم الترجمات).

Edward Denison Ross (١٨٧١– ١٩٤٠) من إنجلترا، وتشارلز كاتلر توري Charles Cutler Torrey (١٨٦٣– ١٩٥٦) من الولايات المتحدة الأمريكية. وقد انخرط العديد من طلاب نولدكه في الدراسات القرآنية، ومن بينهم: فريدريش زكريا شقالي Friedrich Zacharias Schwally (١٨٦٣ – ١٩١٩)، الذي أَوكل إليه نولدكه مهمة إنتاج نسخة محدثة من كتابه: Geschichte des Qorans (تاريخ القرآن). ونال هارتفيج هيرشفيلد Hartwig Hirschfeld (١٨٥٤ – ١٩٣٤) درجة الدكتوراه من جامعة ستراسبورج عام ١٨٧٨ ونشر أطروحته تحت عنوان: Jüdische Elemente im Ḳorân. Ein Beitrag zur Ḳorânforschung (العناصر اليهودية في القرآن، مساهمة في دراسات القرآن)، (Berlin: Selbstverlag, 1878)، ثم أصدر نسخة منقحة بعنوان: Beitrage Zur Erklarung des Korans Leipzig (مساهمات في تفسير القرآن) (Leipzig: Schulze, 1886)، وترجمة إنجليزية بعنوان: New Researches into the Composition and exegesis of the Qoran (أبحاث جديدة في تأليف وتفسير القرآن)، (London: Royal Asiatic Society, 1902). أكمل إسرائيل شابيرو Israel Schapiro (١٨٨٢ – ١٩٥٧) أطروحته للدكتوراه في عام ١٩٠٧ ونشرها تحت عنوان: Die haggadischen Elemente im erzahlendinger Teil des Korans (العناصر الهاجادية[١] في القصص القرآني)،

(١) هاجادة، وبالآرامية أجادة، تعني في الأصل: الإخبار، أو التحديث، وتشمل القصص، والمواعظ، والأمثال، والتفسيرات الرمزية، والقصص الأخلاقية والروحية، التي تهدف إلى تعليم القيم الدينية، وتفسير الكتاب المقدس بطريقة غير قانونية. [المترجم].

(Leipzig: Fock, 1907). كتب تشارلز كاتلر توري (١٨٦٣- ١٩٥٦)، وهو أمريكي درس في ستراسبورج بين ١٨٨٩ و١٨٩٢، أطروحةً نُشرت تحت عنوان: The Commercial-Theological Terms in the Koran (المصطلحات التجارية الكلامية في القرآن)، (Leiden: E.J. Brill, 1892). ثم أصبح توري أستاذًا للدراسات السامية في جامعة ييل من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٣٢، ونشر كتاب The Jewish Foundations of Islam (الأصول اليهودية للإسلام) عام ١٩٣٣ (Foster 1999). غادر هيرشفيلد ألمانيا إلى إنجلترا، في حين هاجر شابيرو إلى الولايات المتحدة، حيث تولى إدارة قسم اللغات الساميّة في مكتبة الكونجرس من عام ١٩١٣ حتى ١٩٤٤. وهكذا أسهمت جامعة ستراسبورج في تشكيل مجتمع أكاديمي مهمّ في ميدان الدراسات القرآنية، بما في ذلك دراسة المواد الكتابية في النصّ الإسلامي المقدّس. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، عاد إقليم الألزاس واللورين إلى السيادة الفرنسية، بما في ذلك جامعة ستراسبورج وبقية المقاطعة، ومن ذلك الحين أصبحت الجامعات الألمانية الأخرى المراكز الرئيسة للدراسات الاستشراقية.

انتقل المركز الرئيس للدراسات القرآنية بعد تدريس نولدكه في ستراسبورج إلى جامعة فرانكفورت-إم-ماين، الوريث الرئيس للتقاليد الأكاديمية لجامعة ستراسبورج، وكذلك إلى جامعة ميونخ (Hammerstein 1989). عُيّن العالم اليهودي جوزيف هوروفيتس (١٨٧٤- ١٩٣١)[١] أول أستاذ للدراسات السامية في جامعة فرانكفورت

(١) جوزيف هوروفيتس Josef Horovitz، (١٨٧٤- ١٩٣٢): مستشرق ألماني، درس في جامعة برلين، وعُيّن فيها أستاذًا عام ١٩٠٢، ثم عُيّن أستاذًا للغات السامية بجامعة فرانكفورت عام ١٩١٤، وهذا حتى وفاته.
=

عام ١٩١٥ واستمر هناك حتى وفاته في ١٩٣١. وخلال هذه الفترة، شارك هوروفيتس أيضًا في تأسيس الجامعة العبرية في القدس، حيث سافر إليها عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦ لحضور مراسم الافتتاح، وكان أول مدير لها عن بُعْد من فرانكفورت.

كان لهوروفيتس العديد من الطلاب المؤثّرين، من بينهم: شلومو دوف (فريتز) جويتين S.D. (Fritz) Goitein (١٩٠٠–١٩٨٥)، وريتشارد إيتنجهاوزن Richard Ettinghausen (١٩٠٦–١٩٧٩)، وهاينريش شباير (١٨٩٧– ١٩٣٥)، وإيلزة ليختن شتيتر Ilse Lichtenstädter (١٩٠٧–١٩٩١)، ويوهان فوك Johann Fück (١٨٩٤–١٩٧٤)، وويللي هيفنينج Willi Heffening (١٨٩٤– ١٩٤٤)، ومارتن بلسنر Martin Plessner (١٩٠٠– ١٩٧٣)، وغيرهم.

كتبتْ إيلزة ليختن شتيتر التي غادرت ألمانيا عام ١٩٣٣ متجهة إلى إنجلترا ثم الولايات المتحدة عدَّةَ أعمال عن القرآن، مع أنّ اهتمامها الرئيس كان بالشعر العربي (Lichtenstädter 1975; Lichtenstädter 1991). أنجز

=

اهتماماته الرئيسة تدور حول المغازي والتاريخ الإسلامي، حقّق بعض الكتب، أهمها (المغازي) للواقدي، وكانت رسالته للدكتوراه حولها، من كتبه الشهيرة "Das koranische Paradies"، (الجنة في القرآن) وهو كتاب صغير فيه اشتغال فيلولوجي على معجم الجنة في القرآن، ترجمه للعربية: محسن الدمرداش، وصدر عن منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ٢٠١٦. (قسم الترجمات).

شلومو دوف جويتين أطروحته حول الصلاة في القرآن عام ١٩٢٢، لكنه غادر ألمانيا عام ١٩٢٣ إلى فلسطين، حيث درّس في الجامعة العبرية في القدس. وفي عام ١٩٥٧، انتقل إلى الولايات المتحدة ليشغل منصبًا في قسم الدراسات الاستشراقية بجامعة بنسلفانيا، وبعد تقاعده عام ١٩٧١ أصبح عضوًا في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون. ومع أنه كتبَ لاحقًا عددًا من الأعمال حول القرآن مرتبطة بأطروحته، فإنّ مغادرته ألمانيا شكّلت انقطاعًا عن المشاريع الفكرية لأستاذه؛ إِذْ تحول تركيزه أساسًا إلى دراسة وثائق جنيزا القاهرة[١]. أكمل ريتشارد إيتنجهاوزن أطروحته حول الجدل في القرآن في عام ١٩٣١ ونشرها في عام ١٩٣٤، وغادر ألمانيا بعد ذلك بوقت قصير إلى إنجلترا، واستقر لاحقًا في الولايات المتحدة، حيث حقّق مسيرة مهنية متميّزة في تاريخ الفنّ الإسلامي (Jäger 2008). وكان من بين طلاب هوروفيتس أيضًا يوسف يوئيل ريفلين Yosef Yoel Rivlin (١٨٨٩– ١٩٧١)، يهودي من فلسطين كان يدرّس اللغة العبرية في (اليشوف)[٢] وجاء للدراسة في فرانكفورت في الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٧. عُيّن باحثًا مساعدًا في الجامعة العبرية حديثة التأسيس عام

(١) الجنيزا هي النصوص ذات القيمة التي لا يمكن إبادتها وفق التقليد اليهودي، وجنيزة القاهرة هي مجموعة من النصوص الدينية والقانونية والعلية التي وُجدت في معبد ابن عزرا بالفسطاط بالقاهرة، وتعود إلى ما بين القرن التاسع الميلادي وإلى القرن التاسع عشر، واكتشفت في بدايات القرن العشرين، وتعدّ وثيقة مهمة لفهم تاريخ اليهود في هذه الفترة في مصر. (قسم الترجمات).

(٢) ابتدأ استخدام هذا المصطلح في ثمانينيات القرن التاسع عشر ليدلّ على المجتمع اليهودي في فلسطين، ويشير إلى هيئة السكان اليهود في فلسطين قبل قيام كيان الاحتلال الغاصب. [المترجم].

١٩٢٧ بتزكية من هوروفيتس، وأستاذًا في عام ١٩٢٩. نُشرت أطروحته تحت عنوان: Das Gesetz im Koran. Kultus und Ritus (الشريعة في القرآن: العبادات والطقوس) في عام ١٩٣٤ (Rivlin 1934). ثم نشر ترجمة عبرية للقرآن في القدس عام ١٩٣٦ (Rivlin 1936).

كان هوروفيتس يعتزم تقديم دراسة منهجية للمواد الكتابية ذات الصِّلَة بالقرآن، فقد ذكر في مقدمة كتابه: Koranische Untersuchungen (دراسات قرآنية)، المنشور عام ١٩٢٦، أنه لن يتناول بعض الموضوعات بالتفصيل لأنّ اثنين من طلابه السابقين قد تناولَا القصص التوراتية والإنجيلية في القرآن، ولم يذكر اسميهما، وأشار إلى أنّ أعمالهما لم تكن قد نُشرت بعد (Horovitz 1926: 10). ويبدو أنّ هوروفيتس كان يقصد بالأول هاينريش شباير، وهو من مواليد فرانكفورت وقد أنهى أطروحته في الجامعة هناك عام ١٩٢١. وكان لشباير، الذي درّس في بريسلاو بعد الانتهاء من أطروحته، خلفية قوية في الدراسات الكتابية (Speyer 1929). وقد كان كتابه: Die biblischen Erzählungen im Koran (قصص أهل الكتاب في القرآن) دراسة شاملة للنصوص الكتابية المتعلّقة بالمادة التوراتية في القرآن، ولم يعتمد هذا الكتاب فقط على أسفار التوراة والإنجيل، بل استند أيضًا إلى مصادر يهودية أخرى، مثل: المشناه، والتلمود، والمدراش، وغيرها. وقد رُتّبت الدراسة حسب موضوعات تاريخ الخلاص الكتابي، وتناولت شخصيات، مثل: آدم، ونوح،

وإبراهيم، ويوسف، وموسى، شاول (طالوت)، وداود، وسليمان، والأنبياء العبرانيين. كما تضمّن الكتاب قسمين موضوعيين حول الخلق وبرج بابل، بالإضافة إلى مناقشة حول الأمثال في القرآن.

وكما أوضح فرانز روزنتال[(١)]، فقد نُشر كتاب شباير بين عامي ١٩٣٧ و١٩٣٩، أمّا التاريخ المذكور في الطبعة وهو ١٩٣١، فهو حيلة مقصودة بهدف التحايل على الحظر الألماني على نشر أعمال الكُتّاب اليهود (Rosenthal 2008). ففي عام ١٩٣٣، أنشأت الحكومة النازية الجديدة Reichsschrifttumskammer (غرفة أدب الرايخ) بوصفها فرعًا من Reichskulturkammer (غرفة ثقافة الرايخ)، وقد ترأسها في البداية هانز فريدريش بلونك Hans-Friedrich Blunck (١٨٨٨–١٩٦١)، الذي قبل المنصب بشرط ألّا يُستبعد الكُتّاب اليهود من العضوية. ومع ذلك، بدأ استبعاد الكُتّاب اليهود من المنظمة في النصف الثاني من عام ١٩٣٤، واستُبدل بلونك في عام

(١) فرانز روزنتال Franz Rosenthal، (١٩١٤– ٢٠٠٣): مستشرق ألماني شهير، عمل أستاذًا للغات الساميّة في جامعة (يال)، تركّز اهتمامه الأساس على التاريخ الإسلامي، وتاريخ العلوم ومناهج البحث في التراث الإسلامي، وله عدد من الكتب في هذا منها: (علم التاريخ عند المسلمين) وهو مترجم للعربية، ترجمه: صالح أحمد العلي، وقد صدرت طبعته الثانية عن مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٣، و(الحرية في الإسلام)، وقد ترجمه للعربية: معن زيادة ورضوان السيد، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٨ عن معهد الإنماء العربي، بيروت، و(مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)، وهو مترجم للعربية كذلك، ترجمه: أنيس فريحة، وصدر عن دار الثقافة ومؤسسة فرانكلين، بيروت، عام ١٩٦١م. (قسم الترجمات).

١٩٣٥ وحلّ محله هانز جوست Hanns Johst (١٨٨٠–١٩٧٨)، وأُقصي آخر الأعضاء اليهود، مثل مارتن بوبر Martin Buber (١٨٧٨–١٩٦٥)، في العام نفسه. وبدون عضوية هذه الغرفة، لم يكن للكُتّاب اليهود الحق في مواصلة نشاطهم المهني (Recht zur weiteren Berufsausübung). وخلال الفترة من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٦، أُدمج أيضًا اتحاد الناشرين وبائعي الكتب الألمان في غرفة أدب الرايخ، وجرى بالمثل استبعاد الأعضاء اليهود منه (Damm 1993: 26-58).

أمّا الطالب الآخر الذي أشار إليه هوروفيتس فيظهر أنه كان لودفيج باخمان Ludwig Bachmann، الذي أكمل أطروحة الدكتوراه تحت إشراف هوروفيتس في عام ١٩٢٥ بعنوان: Jesus im Koran (يسوع في القرآن)، ولم يُنشر هذا الكتاب قط، ولم ينل حظه من الشهرة (Bachmann 1925). وعند كتابة شباير مقدمة Biblische Erzahlungen (القصص أهل الكتاب في القرآن) عقب وفاة هوروفيتس المفاجئة، أشار إلى ما ذكره هوروفيتس عن كتاب طلابه المرتقب. وذكر أن هوروفيتس كان يخطّط لإنجاز كتاب شامل حول أنواع المواد في القرآن، وأنّ دراسته لقصص العذاب (Straflegenden) في كتابه: Koranische Untersuchungen (دراسات قرآنية)، لم تكن دراسة فردية (Einzeluntersuchungen)، بل كانت جزءًا من مشروع أكبر كان من المفترض أن يشمل القصص التوراتية، والشريعة، وعلم الأخرويات، والطقوس الدينية. وأفاد شباير أنّ هوروفيتس كان قد عهد ببعض هذه المواضيع

لطلابه (Speyer 1931: x). وكان هوروفيتس يتولى بنفسه موضوع علم الأخرويات. ومن الواضح أنّ القصص التوراتية، والشريعة، والطقوس الدينية تشير إلى أطروحات شباير، وريفلين، وجويتين. ومن البَيِّن أن شباير أغفل ذِكْر كتاب باخمان عن يسوع، بيد أن عبارة هوروفيتس تُوحي بأن كتاب باخمان كان من المفترض أن يُكمل كتاب شباير، ولا بدّ أنه كان يهدف أن يُقَدِّم الكتابان معًا معالجةً شاملة للمواد الكتابية في القرآن.

تلقّت الدراسات القرآنية ضربة قوية بوفاة جوزيف هوروفيتس في عام ١٩٣١، لكنها دُمّرت بسبب سياسة Gleichschaltun (التنسيق الإجباري)، وهي خطّة تهدف إلى إخضاع جميع جوانب المجتمع الألماني لمبادئ الحزب النازي السياسية (Hammerstein 1989). تولّى هتلر منصب المستشار الألماني في ٣٠ يناير ١٩٣٣، وفي مارس من العام نفسه، أقدم العمدة النازي الجديد لمدينة فرانكفورت، فريدريش كريبس Friedrich Krebs، الذي شغل المنصب من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥، على فصل جميع موظفي البلدية اليهود، حتى قبل أن يُفرض ذلك بموجب القانون. يصف بيتر ف. دراكر Peter F. Drucker، الذي عمل مساعدًا دراسيًّا في كلية الحقوق بجامعة فرانكفورت، الوضع في أوائل عام ١٩٣٣، بعد تولّي هتلر السلطة مباشرة:

كانت فرانكفورت أول جامعة يسيطر عليها النازيون؛ تحديدًا لأنها كانت الأكثر ثقة في ليبراليتها بين الجامعات الألمانية الكبرى، ولأنّ هيئتها التدريسية كانت تفخر بولائها للبحث العلمي، وحرية الضمير، والديمقراطية. وقد أدرك

النازيّون أنّ السيطرة على جامعة فرانكفورت تعني السيطرة على الأوساط الأكاديمية الألمانية بأكملها، وهو ما كان يدركه جميع من في الجامعة (Drucker 1994: 161).

وبعد ٢٥ فبراير ١٩٣٣ بفترة وجيزة، استُدعي جميع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة إلى اجتماع لسماع خطاب المفوّض النازي الجديد لفرانكفورت.

لم يضيع المفوض النازي الجديد أيّ وقت في المجاملات، وأعلن على الفور أنه سيُمنع اليهودُ من دخول حرم الجامعة وسيُفصَلون بدون راتب في ١٥ مارس. وهو أمر لم يكن أحد يتصوّره ممكنًا على الرغم من معاداة النازيين الصاخبة للسامية. ثم شرع في سَيْل من الشتائم والبذاءات والكلمات السوقية التي قلّما سُمِعَتْ حتى في الثكنات العسكرية، ولم تُسمع من قبل في الأوساط الأكاديمية... كلمات يعرفها العلماء الحضور بلا شكّ، لكنهم يقينًا لم يسمعوا أحدًا يستخدمها بحقّهم من قبل. بعد ذلك، أشار الرئيس الجديد بإصبعه إلى رؤساء الأقسام واحدًا تلو الآخر قائلًا: «إمّا أن تفعل ما آمرك به، وإلا سنزجك في معسكر اعتقال». وعندما انتهى، ساد صمت مطبق... غادر عددٌ قليل من الأساتذة القاعة بصحبة زملائهم اليهود، لكن الغالبية حافظتْ على مسافة آمنة من أولئك الرجال الذين كانوا -حتى ساعات قليلة مضت- أصدقاءهم المقرّبين (Drucker 1994: 162).

كان الأساس القانوني لتطهير الجامعات من اليهود والأساتذة (غير الموثوق بهم سياسيًّا) هو قانون إعادة إنشاء الخدمة المدنية المهنية (Gesetz zur Wiederherstellung des Berufsbeamtentums)، الصادر في ٧ أبريل ١٩٣٣. نصّ القانون على إقالة جميع الموظفين (غير الآريين) وأعداء الرايخ (Hartshorne 1937: 175– 177). وقد كان لهذا القانون تأثير هائل، فبحلول عام ١٩٣٨، فُصِلَ آلاف العلماء من جامعات في ألمانيا والنمسا، لكن التأثير كان مدمِّرًا، خاصّة في جامعة فرانكفورت، التي فقدت ٣٢.٣٪ من أعضاء هيئة التدريس، لتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد جامعة برلين، التي فقدت ٣٢.٤٪ (Hartshorne 1937: 94).

وكان من نتائج هذا التطور نهاية فعلية للمعهد الشرقي الذي ترأسه هوروفيتس، وقد ضمّ مجموعة من الباحثين المتخصّصين في الدراسات القرآنية. بعد وفاة هوروفيتس، تولّى تلميذه مارتن بلسنر Martin Plessner التدريس مؤقتًا، ثم عُيّن جوتهولد فايل Gotthold Weil، وهو باحث يهودي آخر، في منصب الأستاذية، لكنه فُصل رسميًّا في عام ١٩٣٤ بموجب قانون الخدمة المدنية. أمضى يوهان فوك، أحد طلاب هوروفيتس غير اليهود، عِدّة سنوات يُدرّس في فرانكفورت، لكنه غادر عام ١٩٣٨ لتولّي منصب في جامعة هاله. وكان بعض الطلاب اليهود قد غادروا منذ عشرينيات القرن الماضي، أمّا البقية فقد غادروا في ثلاثينياته. ولم يُستأنف عمل المعهد الشرقي على أساس

سليم إلا بعد تعيين هلموت ريتر Helmut Ritter (١٨٩٢- ١٩٧١) في عام ١٩٤٩، الذي عاد إلى ألمانيا من تركيا، وظل في فرانكفورت حتى عام ١٩٥٦ (Hammerstein 1989: 220, 798–802; Jäger 2008b; Goitein 1934; Levy 2020).

تجمّع مركز آخر مهم للدراسات القرآنية في جامعة ميونيخ حول جوتهلف برجستراسر (١٨٨٦- ١٩٣٣)، الذي درس اللغات السامية والدراسات الاستشراقية في لايبزيج على يد المستعرب الشهير أوجست فيشر August Fischer (١٨٦٥-١٩٤٩)، الذي شغل منصب رئيس قسم الدراسات الاستشراقية في جامعة لايبزيج من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٣٠ وكان له اهتمامات بالدراسات القرآنية (Fischer 1906a, 1906b, 1911, 1912, 1931, 1932, 1933, 1935, 1937). كما أشرف فيشر على أطروحة روبرت روبرتس Robert Roberts المعنونة: Das Familienrecht im Qoran (أحكام الأسرة في القرآن)، التي نُشرت بشكلٍ موسّع تحت عنوان: Das Familian-, Sklaven- un Erbrecht im Qorān (أحكام الأسرة والرقّ والمواريث في القرآن) (Roberts 1907; 1908). وبعد إكمال برجستراسر دراسته في لايبزيج، أمضى الأعوام ١٩١٥-١٩١٩ في إسطنبول، ثم دَرَّس في عدّة جامعات في ألمانيا قبل قبول منصب في جامعة ميونيخ في عام ١٩٢٦. ومع أنّ تعليمه كان منصبًّا على قواعد اللغة العربية واللغات الساميّة أكثر من القرآن نفسه، فقد أكمل

أطروحته في عام ١٩١١ حول موضوع متعلق بالقرآن، Die Negationen im Kur'an: Ein Beitrag zur historischen Grammatik des Arabischen (النفي في القرآن: دراسة في تاريخ النحو العربي)، (Bergsträßer 1911; 1914). وفي ميونيخ، وضع برجستراسر تصوّرًا لمشروع ضخم يهدف إلى إعداد نسخة نقدية من القرآن، ونشر خطة لذلك في عام ١٩٣٠ (Bergsträßer 1930). واجتهد أيّما اجتهاد في دراسة المصادر الإسلامية التي ترجع إلى القرون الوسطى، التي كان من شأنها أن تمهّد السبيل لهذا المشروع الطموح، فنشر عام ١٩٣٣ رسالته: Nichtkanonische Koranlesarten im Muḥtasab des Ibn Ǧinnī (شواذ القراءات في المحتسب لابن جني) (Bergsträßer 1933)، وحقّق المعجم الذي وضعه شمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت. ٨٣٣=١٤٢٩) في طبقات القرّاء (غاية النهاية في طبقات القراء)، لكنه توفي قبل نشره (الجزري ١٩٣٥)، كما حقّق كتاب (مختصر في شواذ القرآن)، لابن خالويه (ت. ٣٧٠= ٩٨٠)، (ابن خالويه ١٩٣٤).

كان أوتو بريتزل Otto Pretzl (١٨٩٣-١٩٤١) تلميذ برجستراسر ومساعده النشيط، وقد أكمل تحقيق برجستراسر لكتاب ابن الجزري في طبقات القرّاء. كان برجستراسر قد تعهّد بإكمال ونشر المجلد الثالث من الطبعة الثانية من كتاب نولدكه (تاريخ القرآن)، بعد وفاة شفالي، الذي نشر المجلدين الأول والثاني في ١٩٠٩ و١٩١٩. وقد أكمل برجستراسر جزأَين في ١٩٢٦ و١٩٢٩، لكن وفاته المفاجئة عام ١٩٣٣، جعلتْ بريتزل يتولّى العمل المتبقي، ونُشر

المجلد الثالث الكامل أخيرًا في عام ١٩٣٨. وقد نشر بريتزل ثلاثة أعمال لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت. ٤٤٤= ١٠٥٣): كتاب: (التيسير في القراءات السبع)، وكتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار)، وكتاب (النقط). (الداني ١٩٣٠؛ ١٩٣٢).

عُيّن أوتو بريتزل في منصب برجستراسر بعد وفاته، وتولى متابعة مشروع Apparatus Criticus (التعليق النقدي) الذي بدأه برجستراسر، ونشر وصفًا للمشروع في عام ١٩٣٤ (Pretzl 1934). كما شارك في هذا المشروع طالب آخر من طلاب برجستراسر، أنطون شبيتالر Anton Spitaler (١٩١٠-٢٠٠٣)، الذي كتب أطروحة حول الأنظمة الإسلامية لعدّ آيات القرآن (Spitaler 1935). ومثلما كانت تحقيقات بريتزل لكتب الداني، كان هذا العمل يهدف إلى الإسهام في مشروع برجستراسر. وقد أدّت وفاة بريتزل في عام ١٩٤١ إلى إنهاء هذا المسار البحثي في الدراسات القرآنية؛ إِذْ لم يستمر أنطون شبيتالر في التركيز على المواضيع القرآنية في أبحاثه الخاصّة.

اتضح لاحقًا أنّ مشروع برجستراسر وبريتزل كان من الممكن أن يستمر بعد وفاتهما؛ لأنّه شمل متعاونًا إضافيًّا عاش خارج ألمانيا ونجا من الحرب العالمية الثانية وهو سليم. كان آرثر جيفري Arthur Jeffery، باحثًا أستراليًّا درّس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٨، وركّز اهتمامه البحثي على القرآن. بدأ التعاون مع برجستراسر في عام ١٩٢٦ (Jeffery 1937)، وقد ذكر اسمه كلٌّ من برجستراسر وبريتزل بوصفه متعاونًا مهمًّا في تقاريرهما عن مشروع التعليق النقدي في

عامي ١٩٣٠ و١٩٣٤. وقد كتب مقدمة طبعة برجستراسر لكتاب ابن خالويه: (مختصر في شواذ القرآن)، وسافر إلى ميونيخ لحضور تنصيب أوتو بريتزل خليفةً لبرجستراسر في نوفمبر ١٩٣٣. نشر جيفري كتاب: Materials for the History of the Text of the Quran: The Old Codices (مباحث في دراسة تاريخ نصّ القرآن: المخطوطات القديمة) في عام ١٩٣٧، وقد تضمّن تحقيقًا لكتاب (المصاحف) لعبد الله بن سليمان ابن أبي داود السجستاني (ت. ٣١٦هـ= ٩٢٩م)، وكان يتماشَى تمامًا مع مشروع برجستراسر، بالإضافة إلى كتابه: Foreign Vocabulary in the Qur'an (الألفاظ الأعجمية في القرآن). من عام ١٩٣٨ وحتى ١٩٥٩، درّس جيفري في جامعة كولومبيا ومعهد الاتحاد اللاهوتي في مدينة نيويورك. وقد أفاد أوتو بريتزل في عام ١٩٣٤ بأنّ جيفري قد اتفق مع مطبعة جامعة أكسفورد على نشر طبعة جديدة من القرآن تلبِّي العديد من الأهداف التي وضعها برجستراسر في مشروعه الأصلي؛ إِذْ كان من المقرّر أن تتضمّن هذه الطبعة تعليقات نقدية ومناقشة تفصيلية للقراءات القرآنية المختلفة (Pretzl 1934: 6- 7). وللأسف، لم يُكمل جيفري هذا العمل، ولم يُثمر تدريسه في نيويورك عن جيل جديد من المتخصّصين في الدراسات القرآنية.

بالإضافة إلى التطهير النازي للجامعات الألمانية، ابتُليت الدراسات القرآنية بوفيات مبكّرة؛ إِذْ لم يحظَ العديد من العلماء الموهوبين والمبدعين والواعدين بمسيرةٍ مهنيةٍ طويلةٍ في مجال النشر كما كان يُؤمل. وكان نولدكه استثناءً، فقد عاش حتى سنّ ٩٤، وعاش أطول من معظم أبنائه العشرة، واستمر في الكتابة والنشر على نطاق واسع في مختلف فروع الدراسات الاستشراقية حتى سنواته الأخيرة. أمّا بقية العلماء، فلم يعمَّروا كثيرًا، وانتهت حياة بعضهم

مبكِّرًا بشكل مأساوي. توفي فريدريش شڤالي، أحد طلاب نولدكه وتلميذه المقرب، عام ١٩١٩ عن عمر ٥٥ عامًا. وتُوفي جوزيف هوروفيتس أثناء سيره إلى الجامعة في ٥ فبراير ١٩٣١، عن عمر ٥٦ عامًا. أمّا برجستراسر، فقد تُوفي في حادث تسلّق جبال عام ١٩٣٣، عن عمر يناهز ٤٧ عامًا. وتُوفي هاينريش شباير، أحد طلاب هوروفيتس، عام ١٩٣٥، عن عمر ٣٨ عامًا. أمّا أوتو بريتزل، تلميذ برجستراسر، فقد تُوفي عن عمر ٤٨ عامًا في حادث تحطم طائرة خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١. ولا يسع المرء إلا أن يتخيّل ما كان بإمكانهم إنجازه لو امتدت بهم الحياة. ولو كان طال العمر بشباير وهوروفيتس وبرجستراسر، ولو غادر الاثنان الأولان ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين، لكان لتاريخ الدراسات القرآنية في بقية القرن العشرين مسارٌ مختلف تمامًا.

وإجمالًا، تدمّر مركزان أساسيّان من مراكز الدراسات القرآنية بسبب صعود الحزب النازي إلى السُّلْطة وأحداث الحرب العالمية الثانية: أحدهما بقيادة جوزيف هوروفيتس في فرانكفورت، والآخر بقيادة جوتهلف برجستراسر ثم أوتو بريتزل، في ميونيخ. والمركز الأكثر أهمية فيما يتعلّق بالوعي بالمادة الكتابية في القرآن كان في فرانكفورت؛ لأنّ التركيز في ميونيخ كان منصبًّا على تاريخ النصّ. ووفقًا لنعي جويتين، فإنّ اهتمام هوروفيتس في العقد الأخير من حياته كان متمحورًا حول القرآن، وكان (لديه العديد من الخطط والمشروعات) حين باغته الموت. وفي رسالة مؤرخة في ١٢ ديسمبر ١٩٣٠، أفاد هوروفيتس أنه يخطّط لإنهاء كتاب Das Weltbild des Korans (صورة العالم في القرآن)، متضمنًا نقاشًا حول علم الأخرويات، وكان قد جمع المادة المتعلّقة بذلك

بالفعل (Goitein 1934: 122). وعلى المدى الطويل، كان يعمل بمساعدة طلابه على إعداد تفسير كامل للقرآن. وكتب في نفس الرسالة المؤرخة في ١٢ ديسمبر ١٩٣٠:

أعتقد أنّنا نقترب من الوقت الذي يمكن فيه الشروع في تأليف تفسير للقرآن. وفي رأيي، فإنّ الطريق إلى ذلك يكمن في معالجة الموضوعات المختلفة بشكلٍ منفردٍ: القصص، والأحكام، والجدل، وعلم الأخرويات، والشكر والدعاء، والمسائل الشخصية والإشارات إلى الأحداث المعاصرة، والأسلوب، والرؤية الكونية (Goitein 1934: 122).

تشير مواضيع أطروحات شباير، وباخمان، وجويتين، وريفلين، وإيتنجهاوزن إلى أنّ هوروفيتس كان يوجه طلابه لتناول الأنواع الرئيسة للنصوص الواردة في القرآن بطريقة منهجية، وأنّ هذا كان يهدف إلى توفير الأساس لدراسة شاملة ومتكاملة. وتُظهر أعمال لودفيج باخمان وهاينريش شباير خاصّة محاولة معالجة المادة الكتابية في القرآن بشكل منهجي.

وكان العديد من الباحثين الذين درسوا على يد نولدكه في ستراسبورج، وهوروفيتس في فرانكفورت يهودًا، وقد استفادوا بعد إعدادهم اللغوي وتدريبهم على تحليل النصوص من الدراسة في بيئات ومؤسّسات يهودية، كما انخرطوا في المنهج الحديث لدراسة التراث اليهودي المرتبط باتجاه Wissenschaft des Judentums (الدراسة العلمية لليهودية)، الذي كان له أثر مهمّ على تطوير الدراسات القرآنية، من خلال شخصيات مثل أبراهام

جيجر، جوستاف فايل Gustav Weil، جوزيف هوروفيتس، وغيرهم (Hartwig 2013: 297–319; Lewis 1968; Rosenthal 2008; Neuwirth 2008; Heschel 1999; 2018). وكان للعديد من أعضاء كلتا المجموعتَيْن قاعدة معرفية راسخة في الدراسات الاستشراقية، بما في ذلك معرفة اللغات السامية بجانب العربية. وقد تمتّع بعضهم بخبرة واسعة في مجال الدراسات الكتابية. ولهذه الأسباب المتداخلة، كان العديد من الباحثين المشاركين في الدراسات القرآنية خبراء في العبرية، والآرامية، والسريانية، وكان لديهم القدرة على دراسة النصوص الكتابية بالتفصيل. أمّا خارج المنطقة الناطقة بالألمانية، في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة –وهي البلدان التي فرّ إليها العلماء الألمان– فلم تكن دراسة الشرق الأوسط مُصمّمة بنفس الطريقة، خاصّة بعد منتصف القرن العشرين. فقد اتجه المتخصِّصون في اللغة العربية والإسلام بشكل متزايد إلى عدم التدرّب على اللغات السامية الأخرى، مما أدَّى إلى إهمال دراسة المادة الكتابية في القرآن. وقد يرتبط قلّة الاهتمام بالمادة الكتابية في القرآن أيضًا بعامل إضافي أكثر عمومية، وهو وجهة النظر القائلة بأنّ الإسلام والثقافة الإسلامية كانَا منفصلَيْن ومستقلَّيْن عن الأديان والثقافات الأخرى. ولم تكن هذه النظرة الانعزالية مرتبطة بنقصِ المهارات اللغوية فحسب، بل أيضًا بالفصل المؤسّسي للدراسات الإسلامية عن المجالات الأخرى (Rosenthal 2008: 113).

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين، كادت تنعدم البيئة الفكرية التي تُعْنَى بالدراسات القرآنية. فقد عملت شخصيات، مثل: مونتجمري وات

Montgomery Watt[1] في إسكتلندا، ريجيس بلاشير Régis Blachère في فرنسا، ورودي بارت Rudi Paret في ألمانيا بمفردهم تقريبًا دون وجود تعاون مؤسَّسي أو مجتمع علمي متكامل. وقد أصبحت الدراسات القرآنية نشاطًا بحثيًّا محدودًا قائمًا في الغالب على الجهود الفردية، وأدّى قِلّة عددِ الباحثين في هذا المجال إلى أن يكون لتوجّهات فئة محدودة من الباحثين تأثيرٌ بالغٌ في تحديد ما يُبحث وما يُهْمَل.

(١) مونتجمري وات W. Montgomery Watt، (١٩٠٩ – ٢٠٠٦): كاهن إنجليكاني ومستشرق بريطاني، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إدنبرة بإسكتلندا إلى تقاعده عام ١٩٧٩، من أهمّ المستشرقين المعاصرين في مجال تاريخ الدعوة والسيرة النبوية، ومن أشهر كتبه في السيرة: محمد في مكة (١٩٥٣)، ومحمد في المدينة (١٩٥٦)، والإسلام واندماج المجتمع (١٩٩٨). والثلاثة مترجمات للعربية؛ فقد ترجم الأول عبد الرحمن الشيخ، وصدر عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٩٤. وترجم الثاني شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٥. وترجم الثالث عليّ عباس مراد، وصدر عن المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، وكذلك ترجم كتابه: "Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions,1991" بعنوان: (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر)، ترجمه: عبد الرحمن الشيخ، وصدر عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٩٨، كما ترجم مؤخرًا كتابه: (The influence of Islam on Medieval Europe 1972)، بعنوان: (تأثير الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى)، ترجمه: سارة إبراهيم الذيب، جسور للترجمة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٦. (قسم الترجمات).

٣. التشكُّل التاريخي للدراسات القرآنية:

شكّلَت الدراسات القرآنية الغربية في القرنين التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ما أصبح خمسة مجالات فرعية كبيرة، تمثّلَت في أنماط فرعية من الأعمال التي أُجريت فيها الأبحاث. ولم تكن هذه المجالات الفرعية معزولة بشكلٍ تامّ بعضها عن بعض، لكنها غالبًا ما كانت غير مندمجة تمامًا، مما أدى في كثير من الأحيان إلى عدم استيعاب التقدّم المحرز في أحدها في المجالات الأخرى. وقد أفضى هذا البناء العام للحقل إلى جَعْلِ دراسة العلاقة بين القرآن والنصوص الكتابية تتم داخل مجال فرعي واحد من العمل البحثي. وهذه الفئات الكبيرة الخمس، هي: ١) المقدمات عن القرآن. ٢) الأعمال المخصصة لسيرة النبي [ﷺ]. ٣) الأبحاث حول علاقة القرآن بالأدب الكتابي. ٤) دراسات حول تفسير القرآن. ٥) ترجمات القرآن. ويمكن أيضًا الإشارة إلى نمط آخر ذي صِلَة، وهو المقدمات عن الإسلام، بما في ذلك جوزيف مورجان Joseph Morgan في كتابه: Mohammedanism Explained[(١)] (الإسلام موضّحًا) المنشور في عام ١٧٢٣، وتشارلز فورستر Charles Forster في كتابه: Mohammedanism Unveiled (الإسلام مفصّلًا) في مجلدين، المنشور في عام

(١) مصطلح "Mohammedanism" (المحمّدية) هو تسمية قديمة كانت تُستخدم في اللغات الأوروبية (خصوصًا في الإنجليزية) للإشارة إلى الإسلام، وظلّت الكلمة مستخدمة في الكتابات الغربية حتى ١٩٦٥ تقريبًا، يعود أول ظهور موثق للمصطلح في اللغة الإنجليزية إلى عام ١٦٦٣ م، ويعود تاريخ كتابة المصطلح القديم "Mahometan" إلى عام ١٥٢٩ على الأقل. [المترجم].

١٨٢٩، وجون ديفيد ماكبرايد John David MacBride في كتابه: The Mohammedan Religion Explained (الدين الإسلامي موضحًا) المنشور في عام ١٨٥٧، ودانكان بلاك ماكدونالد Duncan Black Macdonald في كتابه: Development of Muslim Theology, Jurisprudence, and Constitutional Theory (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية الإسلامية) المنشور في عام ١٩٠٣، وإجناس جولدتسيهر Ignaz Goldziher[(١)] في

(١) جولدتسيهر، Ignác Goldziher، (١٨٥٠ – ١٩٢١): مستشرق مجَري يهودي، تلقّى تعليمه في جامعة بودابست ثم برلين ثم ليبستك، وفي عام ١٨٧٠ حصل جولدتسيهر على الدكتوراه الأولى، وكانت عن تنخوم أورشلي أحد شرّاح التوراة في العصور الوسطى، وعيّن أستاذًا مساعدًا في عام ١٨٧٢، وبعد رحلة دراسية برعاية وزارة المعارف المجَرية في فيينّا ثم ليدن ثم في القاهرة (حيث حضر بعض الدروس في الأزهر) وسوريا وفلسطين، وفي عام ١٨٩٤ عيّن أستاذًا للغات السامية بجامعة بودابست.

له عددٌ كبيرٌ من الآثار، أشهرها:

"Vorlesungen über den Islam"، (العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريع في الدين الإسلامي)

وSchools of Koranic Commentators، (مذاهب التفسير الإسلامي).

والكتابان مترجمان للعربية؛ فالأول ترجمه وعلّق عليه: محمد يوسف موسى وعليّ حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، وقد طُبع أكثر من طبعة، آخرها طبعة صادرة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، بتقديم محمد عوني عبد الرؤوف، والثاني كذلك مترجم، ترجمه: عبد الحليم النجار، وصدر في طبعة جديدة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، بتقديم محمد عوني عبد الرؤوف، وله كتاب مهمّ عن الفقه بعنوان: (The Ẓāhirīs: Their Doctrine and Their History : a Contribution to the History of Islamic Theology)، (الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم) وهو أول بحوثه المهمّة حول =

كتابه: Vorlesungen über den Islam (محاضرات حول الإسلام)[1] المنشور في عام ١٩١٠، وديفيد صامويل مارجليوث D.S. Margoliouth في كتابه: Mohammedanism (الإسلام) المنشور في عام ١٩١٢، وهاملتون ألكسندر روسكين جيب H. A. R. Gibb في كتابه: Mohammedanism: An Historical Survey (الإسلام: مسح تاريخي) المنشور في عام ١٩٤٩، وهلمّ جرًّا. ومن اللافت للنظر أنّ الأنواع الفرعية من المقدمات عن الإسلام وسيرة النبي [ﷺ] وترجمات القرآن، قد وُجدت جميعها في الترجمة الإنجليزية للقرآن التي قام بها جورج سيل George Sale، مع مقدّمته (١٧٣٤)؛ وقد كان لهذا العمل تأثير عميق على الدراسات اللاحقة، خاصة باللغة الإنجليزية. وقد جمعت بعض الأعمال بين سيرة النبي [ﷺ]، ومقدمة عن القرآن، بما في ذلك أعمال شبرنجر Sprenger في كتابه: The life of Mohammad: from original sources (حياة محمد [ﷺ]: من المصادر الأصلية) المنشور في عام ١٨٥١؛ وكتابه: Das Leben und die Lehre des Mohammad: Nach bisher größtentheils unbenutzten Quellen (حياة وتعاليم محمد [ﷺ]: بناءً على مصادر لم

=

الإسلام حيث صدر في ١٨٨٤، وهو مترجم للعربية، ترجمة محمد أنيس مورو وصدر عن دار نماء، في ٢٠٢١.

(١) اشتهرت ترجمة الكتاب بـ(العقيدة والشريعة في الإسلام). [المترجم].

تُستخدم حتى الآن)، (١٨٦١- ١٨٦٥، الطبعة المنقحة ١٨٦٩)، وجريمه Grimme في كتابه: Mohammed (محمد [ﷺ]) (١٨٩٢- ١٨٩٥)، وموير Muir في كتابه: The Life of Muhammad and History of Islam to the Era of the Hegira (حياة محمد [ﷺ] وتاريخ الإسلام حتى عصر الهجرة) (١٨٥٨- ١٨٦١)، وغيرهم.

كما سبقت الإشارة، كانت ألمانيا دون منازع المركز العلمي الأبرز في ميدان الدراسات القرآنية طوال القرن التاسع عشر ومنذ مطلع القرن العشرين وحتى ثلاثينياته، وقد اضطلع المتخصّصون في ألمانيا والنمسا بالدور الأبرز في ترسيخ التقاليد العلمية الخمسة المشار إليها آنفًا. ومن اللافت مدى انفراد هذه التقاليد بمجالاتها المختلفة. ومن الجدير بالملاحظة بشكلٍ خاصّ أنّ العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية قد أُنجزت على أيدي باحثين لم يكن تركيزهم منصبًّا على الدراسات القرآنية، بل إنهم في كثير من الأحيان أنجزوا ترجماتهم بمعزلٍ شبهِ تامّ عن التقاليد البحثية الأخرى في حقل الدراسات القرآنية. ويمكن ذِكْر العديد من الملاحظات الأخرى حول العلاقات بين هذه المجالات الخمسة من البحث العلمي، بيد أنّ النقطة الجوهرية في هذا السياق هي أنّ هذه الجهود لم تُطَوَّر بصورة منهجية ومتكاملة باعتبارها أقسامًا فرعية ضمن حقل معرفي موحّد. ومن ثَمّ، فإنها لم تُنْتِج إرثًا متكاملًا يُمكن توريثه للأجيال اللاحقة من الباحثين.

ولولا تطوّر الأنماط الفرعية الخمسة للدراسات القرآنية بوصفها فئات متمايزة، لكان غياب التركيز في المقدّمات عن القرآن على علاقة النصّ القرآني بالأدبيات الكتابية مدعاة للاستغراب؛ ولكن ذلك لا يُعَدّ مستغربًا عند إدراك أن السبب في ذلك يعود جزئيًّا إلى الطريقة المعيارية التي جرى بها تأطير هذا الحقل المعرفي. بدأ النمط الأكاديمي الحديث في المقدّمات عن القرآن على يد جوستاف فايل Gustav Weil (١٨٠٨– ١٨٨٩) الذي نشر كتابه: Historisch-Kritische Einleitung in den Koran (مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) لأول مرة عام ١٨٤٤، تلتها طبعة ثانية عام ١٨٧٨. ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام: الأول يتناول سيرة النبي [ﷺ]، والثاني عن القرآن، أمّا الثالث فيتناول الإسلام. ومع أنّ فايل كتب هذا الكتاب بعد أكثر من عقد على صدور كتاب أبراهام جيجر حول المصادر اليهودية للمواد الواردة في القرآن، فإنه لم يتناول في مقدمته موضوع التأثيرات الكتابية على القرآن. لكنه ألّف كتابًا منفصلًا بعنوان: Biblische Legenden der Muselmanner. Aus arabischen Quellen zusammengetragen und mit judischen Sagen verglichen (الأساطير الكتابية عند المسلمين، مجموعة من المصادر العربية ومقارنة بالروايات اليهودية)، وقد نُشر عام ١٨٤٥. ويُشابه هذا الكتاب إلى حدٍّ ما كتاب جيجر، لكنه ركّز بالدرجة الأولى على النصوص الإسلامية خارج النصّ القرآني. كما نشر فايل أيضًا سيرة للنبي [ﷺ] تحت عنوان: Mohammed, der Prophet (محمد النبي [ﷺ])، في شتوتغارت عام ١٨٤٣. يتّضح إذًا من إنتاج فايل العلمي في أربعينيات القرن التاسع عشر، وجود تمايز

مبكّر بين ثلاثة أنماط كتابية شكّلَتْ لاحقًا ثلاثة مجالات دراسية متميزة: السيرة النبوية، والمقدّمة عن القرآن، ودراسة ارتباط الأدبيات الإسلامية بالمادة الكتابية (Johnston- Bloom 2014, 2018).

لكتاب (تاريخ القرآن) لثيودور نولدكه أهمية محورية لا يمكن إنكارها في تاريخ الدراسات الغربية حول القرآن. نُشِر هذا الكتاب عام ١٨٦٠، وشكّل نقلة نوعية بارزة، كان من أسبابها إتاحة الوصول إلى مجموعات من المخطوطات في ألمانيا، إلى جانب نشر كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي (ت. ٩١١هـ= ١٥٠٥م) (السيوطي ١٨٥٧). جاء كتاب نولدكه امتدادًا لمقدمة فايل، وكان مثلها أكثر ارتباطًا بالدراسات القائمة حول سيرة النبي [ﷺ] منه بمجال دراسة جيجر. ورغم ضخامة هذا الكتاب، فلم يُولِ العلاقة بين القرآن والتراث الكتابي سوى اهتمام سطحي ومقتضب. وقد افتتح نولدكه مطلع كتابه ببيان جريء مفاده أن غالبية المواد التي بُنيت عليها دعوة النبي [ﷺ] مستمدة من اليهودية. ويرى أنّ معظم القصص، إلى جانب كثير من التعاليم والأحكام الواردة في القرآن، ذات أصل يهودي. أمّا التأثير المسيحي فكان أضعف بكثير، في رأي نولدكه (Nöldeke 1860: 5–6). ولم يحدّد بالضبط كيفية حدوث هذا الاستمداد، لكنه يخلص إلى أن النبي [ﷺ] لم يكن بمقدوره قراءة الكتاب المقدّس مباشرة، ويقترح أن عملية انتقال المواد إلى القرآن كانت شفهية بالكامل (Nöldeke 1860: 7–8). ومع أنّ نولدكه كان مطّلعًا على عمل

جيجر، فإنه لم يُفْرِد في مؤلَّفه قسمًا لمناقشة النصوص الكتابية التي ينتمي إليها القرآن، سواء كانت يهودية أو مسيحية. وقد اكتفى بذِكْر كتاب: ما الذي أخذه محمد من اليهودية؟ في حاشية، معربًا عن أمله في أن يتناول باحثٌ متخصّصٌ في الحياة العربية القديمة والإسلام والأدب اليهودي هذا الموضوع مجددًا (Nöldeke 1860: 5 n. 2). وكان نولدكه يعي أنّ جيجر تناول مجالًا بحثيًّا متميزًا لا ينسجم تمامًا مع الإطار الذي وضع فيه دراسته. وقد يعود هذا الأمر، في نهاية المطاف، إلى طبيعة المسابقة التي قدّم فيها نولدكه النسخة الأصلية من كتاب تاريخ القرآن؛ إِذْ كانت الجهة المنظّمة قد طلبت دراسة تاريخ النصّ القرآني (Déroche 2015). وفي مرحلة لاحقة، حين بدأ نولدكه يُدَرّس لطلاب مثل شابيرو وهيرشفيلد، ممن كان لهم معرفة متعمّقة بالأدب الديني اليهودي، فمن المرجح أنه شجّعهم على التعمّق في دراسة نصوص من التراث اليهودي والقرآن.

يتضمّن المجلد الثاني من النسخة المنقّحة من كتاب تاريخ القرآن لنولدكه، التي أعدّها فريدريش شفالي (١٨٦٣– ١٩١٩) الصادر عام ١٩١٩، فصلًا إضافيًّا لم يكن موجودًا في الطبعة الأولى، بعنوان: Recent Christian Research on the Qur'an (الدراسات المسيحية الحديثة حول القرآن). وفي هذا الفصل، يشير شفالي إلى أعمال أبراهام جيجر وعدد من الباحثين اليهود الآخرين (Noldeke and Schwally 1919: 193–219)، وهو انعكاس

للفكرة القائلة بأنّ الدراسات النقدية الحديثة في حقل الدراسات الكتابية كانت تُمثّل مشروعًا (مسيحيًّا)، رغم إسهام بعض الباحثين اليهود فيه. وفي مستهلّ قسم فرعي من هذا الفصل، مخصّص لـ(دراسات فردية في التاريخ والتفسير) (Nöldeke and Schwally 1919: 208–217)، يتناول شقالي كتاب جيجر، ويشير إلى أن هارتفيج هيرشفِلد وإسرائيل شابيرو قد أعادَا -بعد انقطاع طويل نتج عن ضعف اهتمام الباحثين اليهود أو عدم توفر التدريب الكافي في اللغة العربية- إحياء مسار البحث الذي بدأه جيجر (Nöldeke and Schwally 1919: 208–209). ثم يُعرِب عن استيائه بسبب أن كلّ المادة التي جمعها شابيرو من المصادر الهاجادية لا تُخبرنا للأسف بشيء عن القرآن نفسه، بل فقط عن تفسيره (Nöldeke and Schwally 1919: 209). ولا يتجاوز شقالي هذا التعليق في التطرّق إلى أيّ تفصيل إضافي حول علاقة القرآن بنصوص معينة من التراث اليهودي أو المسيحي. وعلى مدى عقود طويلة، ظلَّ كتاب نولدكه تاريخ القرآن المقدّمة الأساسية الوحيدة المتوفرة باللغة الأوروبية لدراسة القرآن. وحتى في طبعته الثانية الموسعة، لم يولِ المادة الكتابية سوى اهتمام ضئيل.

نشر ريجيس بلاشير (١٩٠٠ – ١٩٧٣) Introduction au Coran (مقدمة إلى القرآن) في الأصل عام ١٩٤٧؛ وصدرت طبعة ثانية منه في عام ١٩٥٩. ولم يتردّد في استخدام المصطلحات المسيحية، لا سيما في إشارته إلى الجمع العثماني بوصفه

«الفولجاتا»[(١)] (Blachère 1947; 1959). ومع ذلك، فإنّ مقدمة بلاشير لا تقول شيئًا يُذْكر عن الكتاب المقدّس بعهديه، وخاصّة فيما يتعلق بتأثيراته المحتملة على النصّ القرآني.

يُعَدُّ كتاب Introduction to the Qur'an (مقدمة إلى القرآن) لمؤلِّفه ريتشارد بيل Richard Bell (١٨٧٦– ١٩٥٢)، الذي نُشرت بعد وفاته عام ١٩٥٣ =انفصالًا جوهريًّا عن النموذج الذي تبنّته المقدِّمات السابقة. يتناول كتاب بيل مصادر القرآن بشكلٍ مباشرٍ، وذلك في فصل بعنوان: Narratives (القصص)، (Bell 1953: 161-165)، وفيه يقول:

يتجلى اعتماد القرآن على الكتاب المقدّس، وخاصّة العهد القديم، بصورة أوضح ما تكون في الأجزاء القصصية... إِذْ إنّ الجزء الأكبر من المادة التي استخدمها محمد [ﷺ] لتوضيح وتطبيق تعاليمه كان مستمَدًّا من مصادر يهودية ومسيحية، وكان الهدف منها استنساخ ما وردَ في الوحي المُنزل على أهل الكتاب (Bell 1953: 161).

(١) Vulgata كلمة لاتينية معناها شعبية (ومنها جاءت كلمة "Folk" في اللغة الإنجليزية بمعنى شعب) وتعني (النسخة الشائعة) أو (النسخة المتداولة)، وهي الترجمة اللاتينية الشهيرة للكتاب المقدس، والتي يُنسب إنجازها بشكل رئيس إلى القديس جيروم في أواخر القرن الرابع الميلادي. [المترجم].

في هذا السياق، تغيّر أمران عن التوصيف الذي قدّمه نولدكه؛ أولًا: لم يعد هناك تركيز حصري على المصادر الشفهية، وثانيًا: أصبحتْ هناك مساواة بين المصادر اليهودية المسيحية. يفترض بيل أنّ المادة الكتابية التي أثّرت في القرآن تعود في المقام الأول إلى سِفْري التكوين والخروج، وبدرجة أقلّ إلى الكتب التاريخية في العهد القديم[(١)]. ويشير إلى أنّ قصة مولد يحيى في سورة مريم (الآيات: ٢– ١٥) قد تكون مستمدَّة من إنجيل لوقا، لكن العناصر الأخرى في قصة ميلاد عيسى لا بد أنها مستقاة من الأناجيل الأبوكريفية (المنحولة)، وخاصة Gospel of James (إنجيل يعقوب)[(٢)]. لكنه ينبه إلى أن هذه العناصر لم تُستمد مباشرة من أسفار الكتاب المقدس (Bell 1953: 163)، بل كانت دائمًا تُعاد صياغتها، ويضيف: «إنَّ جميع هذه القصص تقريبًا تحتوي على خليط من مواد تلمودية أو غيرها من المواد غير الكتابية، أو تُظهر سمات لا يمكن تفسيرها إلا من خلال العبارات الموجودة في التراث

(١) الأسفار التاريخية في الكتاب المقدّس هي مجموعة من الأسفار التي تتناول تاريخ شعب بني إسرائيل، بدءًا من دخولهم أرض كنعان وحتى السبي البابلي وما بعده. ويختلف عددها بين الطوائف فتتضمّن عند الكاثوليك ١٦ كتابًا، وعند الأرثوذكس والبروتستانت ١٢ كتابًا، وتشمل: يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، أستير. [المترجم].

(٢) إنجيل يعقوب الأوّليّ أو إنجيل يعقوب التمهيدي، أُلّف في منتصف القرن الثاني، أحد الأناجيل التي رفضتها الكنيسة واعتبرتها منحولة، ويذكر العلماء أن سبب وصفه بالأول أو التمهيدي يرجع إلى ذِكْر هذا الإنجيل للأحداث الأولية عن المسيح، منذ حمل مريم العذراء. [المترجم].

اليهودي أو المسيحي» (Bell 1953: 163–4). ويشير بيل إلى أن رواة (عامّيين) كانوا وراء قصص، مثل: هبوط آدم، وأصحاب الكهف، وموسى والخضر، وذي القرنين (Bell 1953: 164). ويفيد بأنّ قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف (الآية: ١٨) مستمَدّة من أسطورة النائمين السبعة في أفسس، وأنّ قصص موسى والخضر وذي القرنين، في السورة نفسها، مستمَدّة من قصة الإسكندر؛ وقد انتشر كلا النصّين على نطاق واسع في المجتمعات المسيحية الشرقية (Bell 1953: 165). ويضيف بيل أنّ النبي [ﷺ] كان سيكون أقدر على الاطلاع على محتوى العهد القديم أثناء وجوده في المدينة؛ لأنّ اليهود المحليين كانوا يضمّون بين صفوفهم علماء وأحبارًا، لكنه يرى أن محمدًا [ﷺ] لم يكتسب معرفةً وثيقةً بالإنجيل (Bell 1945; Bell 1953:165). ومن بين المقدّمات عن القرآن المتاحة حتى وقت قريب، تُعَدّ معالجة بيل المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمادة القرآنية هي الأكثر تفصيلًا ودقة. ولكن للأسف، سرعان ما تضاءل تأثيره المحتمل.

أعاد ويليام مونتجمري وات (١٩٠٩–٢٠٠٦) صياغة كتاب ريتشارد بيل، وأُعيد نشره عام ١٩٧٠، وصدرتْ منه عدّة طبعات فيما بعد. وأصبحت نسخة وات، بحكم الأمر الواقع، المرجع القياسي في مجال الدراسات القرآنية للباحثين العاملين باللغة الإنجليزية حتى القرن الحادي والعشرين. وقد أجرى وات عدّة تعديلات على نصّ بيل؛ ورُوِّج للطبعة الجديدة بأنها (مُنقحة ومزيدة)، لكن هذا الادّعاء كان فيه قدر من المبالغة.

بيل، مقدمة إلى القرآن، ١٩٥٣	وات، مراجعة لمقدمة بيل، ١٩٧٠
١. الوضع التاريخي ومحمد [ﷺ]	الفصل الأول: السياق التاريخي
	الفصل الثاني: تجربة محمد [ﷺ] النبوية
٢. أصل القرآن	الفصل الثالث: تاريخ النصّ
٣. شكل القرآن	الفصل الرابع: الشكل الخارجي للقرآن
٤. بنية القرآن وأسلوبه	الفصل الخامس: سمات الأسلوب القرآني
٥. جمع السور	الفصل السادس: تشكيل القرآن
٦. الترتيب الزمني للقرآن	الفصل السابع: التسلسل الزمني للقرآن
٧. مراحل تطور القرآن	الفصل الثامن: أسماء الرسالة المنزلة
٨. محتويات القرآن ومصادره	الفصل التاسع: المعتقدات في القرآن
	الفصل العاشر: الدراسات الإسلامية والقرآن
	الفصل الحادي عشر: القرآن والدراسات الغربية

يكشف نسق إعادة صياغة وات لكتاب بيل عن اختلافين رئيسَيْن. تتوافق معظم فصول وات تمامًا مع فصول العمل الأصلي لبيل، لكن قُسم الفصل الأول من كتاب بيل (الوضع التاريخي ومحمد [ﷺ]) إلى فصلَيْن؛ الأول عن (السياق التاريخي)، والثاني مخصص لـ(تجربة محمد [ﷺ] النبوية). وفي هذا الموضع، يُضيف وات مادة تتناول الجوانب النفسية للنبي [ﷺ]، وهو موضوع يولي له اهتمامًا خاصًّا، حيث يحاجج بأن محمدًا [ﷺ] كان نبيًّا صادقًا حقًّا. أما الاختلاف الرئيس الآخر فهو أن الفصل الثامن من كتاب بيل، (محتويات القرآن ومصادره)، قد استُبدل به ثلاثة فصول: الفصل التاسع (المعتقدات في القرآن)، والفصل العاشر (الدراسات الإسلامية والقرآن)، والفصل الحادي عشر (القرآن والدراسات الغربية). ويلاحظ اختفاء فصل (مصادر القرآن) من نسخة وات المراجعة؛ إِذْ لم يَعُد جزءًا من الفصول أو من متن الكتاب.

كانت قائمة بيل لمصادر القرآن قصيرة جدًّا وتفتقر إلى التفصيل، لكنها مثّلت قفزة نوعية مقارنةً بما قدَّمه نولدكه. ومع ذلك، فالأمر الأكثر إشكالًا هو أنّ المعلومات المحدّدة التي قدّمها بيل قد أزالها وات بالكامل مما أصبح الآن الفصل الحادي عشر (القرآن والدراسات الغربية). بدلًا من ذلك، أدرج قسمًا فرعيًّا بعنوان: (إشكالية المصادر) (Bell and Watt 1970: 184–196)، تحت العنوان الأوسع: (مشكلات تواجه الباحث غير المسلم) (Bell and Watt 1970: 181–186). وفي هذا القسم، يهمل وات مسألة مصادر القرآن، بينما

يقلّل من أهمية هذا النوع من الاستقصاء. مستشهدًا بمثال مسرحية هاملت، ويجادل بأنّ معرفة المصادر التي اعتمد عليها شكسبير في كتابة هاملت لا تضيف شيئًا يُذكر إلى تقدير المرء للمسرحية. ويشير إلى كتاب أبراهام جيجر، لكنه يذهب إلى القول أنّ الباحثين الغربيين أظهروا هَوَسًا مفرطًا بهذا النوع من البحث. ولا يناقش أيّ أعمال ثانوية محدّدة في هذا القسم، ولا يُسمِّي أيًّا من النصوص الكتابية أو الأعمال الأخرى في التراث اليهودي والمسيحي التي يُمكن اعتبارها مصادر لمواد وردَت في القرآن.

تُظْهِر النظرة العامة أنّ الأعمال الرئيسة التي قدّمت مداخل إلى الدراسات القرآنية في التراث الغربي –بما في ذلك مقدمة فايل، وتاريخ القرآن لنولدكه، ومقدمة بلاشير، ومقدمة بيل– قلّما تناولَت العلاقة بين القرآن ونصوص التراث الكتابي، على نحو يُثير الاستغراب. ومن بين هذه الكتب الأربعة، تضمّن كتاب بيل قسمًا مخصصًا تناول فيه هذا الموضوع بشيء من العناية، إلا أنّ وات –للأسف– حذفها. وأُعزي إجراء وات الرقابي في المقام الأول إلى اهتمامه بالحوار بين الأديان. كان وات مسيحيًّا مُتديِّنًا؛ إِذْ كان والده قسيسًا في كنيسة إسكتلندا، وأصبح هو نفسه قسيسًا أنجليكانيًّا. رُسّم شماسًا في الكنيسة الأسقفية الإسكتلندية عام ١٩٣٩ وكاهنًا عام ١٩٤٠، عمل في خدمة الكنيسة بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤٦، واستمر في أداء خدمة رعوية تطوعية (كاهن فخري) خلال معظم مسيرته المهنية اللاحقة. وقد ألّف عددًا من الكتب خُصّصت للحوار بين الأديان والعلاقات المسيحية–الإسلامية، منها: Truth in the Religions: A Sociological

and Psychological Approach (الحقيقة في الأديان: مقاربة سوسيولوجية ونفسية) (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1963)، Islamic Revelation in the Modern World (الوحي الإسلامي في العالم الحديث)، (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1969)، Islam and Christianity Today: A Contribution to Dialogue (الإسلام والمسيحية اليوم: مساهمة في الحوار) (London: Routledge and Kegan Paul, 1983). وكان مُسْهِمًا منتظمًا في المجلة الفصلية The Moslem World (العالم الإسلامي)، التي أَسّسها عام ١٩١١ المبشِّر المسيحي صمويل مارينوس زويمر Samuel Marinus Zwemer (١٨٦٧ – ١٩٥٢) خصيصًا لأغراض الحوار والتبشير. وقد واصل الأسقف الأنجليكاني ألبرت كينيث كراج Albert Kenneth Cragg (١٩١٣ – ٢٠٠٢) هذا الجانب من عمل وات (Cragg 1956, 1971, 2006).

وفي مقدمة النسخة التي أعاد تحريرها من مقدمة بيل، يُعبّر وات بوضوح عن موقفه عندما يناقش عادة بيل في الإشارة إلى النبي [ﷺ] بوصفه مؤلِّف القرآن.

«سار بيل على خُطَى مَن سبقوه من الأوروبيين، فاعتبر -على الأقلّ في مقدّمته- أنّ القرآن من تأليف محمد [ﷺ]. غير أن بعض ما قاله لي على انفراد يوحي لي بأنه كان يبدي تعاطفًا لا بأس به مع ما عبّرتُ عنه من آراء حول نبوّة محمد [ﷺ]، وآخرها في كتاب Islamic Revelation in the Modern World

(الوحي الإسلامي في العالم الحديث). ومع التزايد الملحوظ في التفاعل بين المسلمين والمسيحيين في ربع القرن الأخير، أصبح من الضروري للباحث المسيحي أن يتجنب جرح مشاعر القرّاء المسلمين من غير داعٍ، وأن يسعى -ما أمكن- إلى عرض أفكاره بصيغة تحترم حساسياتهم. ولهذا السبب، قمتُ بتعديل أو حذف كلّ العبارات التي توحي بأن محمدًا [ﷺ] هو من ألّفَ القرآن، بما في ذلك تلك التي تتحدّث عن (مصادره) أو (التأثيرات) التي خضع لها. (Bell and Watt 1970: vi) (والتشديد مِنّي)».

توضح عبارة وات أنه نقّح مقدمة بيل؛ نظرًا لتزايد التواصل بين المسلمين والمسيحيين، وهو ما تطلّب -في رأيه- عرض النصّ بصورة لا تسيء إلى المسلمين. وقد حدّد وات أنّ الجانبَيْن اللذَيْن قد يعتبرهما المسلمون مُسيئين، هما: العبارات التي تُوحي بأنّ محمدًا [ﷺ] هو مؤلّف القرآن، وأيّ نقاش يتعلّق بمصادر القرآن أو التأثيرات التي خضع لها. ولذلك، فعلى الرغم من اهتمام بيل بالتأثيرات اليهودية والمسيحية على القرآن (Bell 1926, 1945)، وتضمُّن مقدّمته مناقشة لهذا الموضوع، فإنّ النُّسْخة التي حرّرها وات من النصّ حذفت هذا النقاش بالكامل.

ولم يتوقّف الإهمال النسبي لهذا الموضوع عند كتاب وات في عام ١٩٧٠، بل استمر بعده، فتجاهلت مقالة ألفورد ت. ولش Alford T. Welch المطوّلة al-Ḳurʾān (القرآن) في الطبعة الثانية من The Encyclopaedia of

Islam (دائرة المعارف الإسلامية)، المنشورة في عام ١٩٨٦، والعديد من المقدمات المنشورة لاحقًا حول القرآن =دور النصوص الكتابية في النصّ المقدّس الإسلامي (Welch 1986; Nagel 1983; Bobzin 1999; Cook 2000; Mattson 2008, 2013). ويمكن تشبيه هذا الوضع بحذف فصل (الأحماض والقواعد) من جميع كتب الكيمياء المتاحة باللغة الإنجليزية.

لقد شكّل استمرار غياب هذا الموضوع في المقدّمات حول القرآن قصورًا واضحًا في تكوين الطلاب والباحثين في القرآن، ويُعيد إلى الأذهان الأيام التي كان يُحجم فيها باحثو الكتاب المقدّس عن النظر في آثار ملحمة جلجامش وأدب الشرق الأدنى القديم بشكلٍ عام على تفسير الكتاب المقدّس. غير أن هذا الوضع قد تغيّر في السنوات الأخيرة، فكتاب Discovering the Qur'an (اكتشاف القرآن) لنيل روبنسون Neal Robinson المنشور في ١٩٩٦، لا يخصّص فصلًا مستقلًّا للروابط الكتابية، لكنه يُشير باستمرار إلى نصوص كتابية محددة (Robinson 1996).

منذ عام ٢٠٠٥، اهتمّت العديد من الدراسات التمهيدية بالمادة الكتابية في القرآن (Déroche 2005; Ernst 2011; Sinai 2017). وقد تمّ تجاوز هذه الإشكالية إلى حدّ كبير بفضل صدور كتاب: Der Koran als Text der Spätantike. Ein europäischer Zugang (القرآن بوصفه نصًّا من نصوص العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية)، لأنجيليكا نويفرت Angelika

Neuwirth[(١)] عام ٢٠١٠، الذي يُمَثّل مقدّمة شاملة لدراسة القرآن، ويركّز -على امتداد الكتاب بأكمله- على الروابط المتعدّدة والمعقّدة بين القرآن وبين الأدب الكتابي وبيئة العصور القديمة المتأخرة (Neuwirth 2010, 2019).

---

(١) أنجيليكا نويفرت Angelika Neuwirth (١٩٤٣-...): من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات الساميّة والعربية في جامعة برلين الحرة، درست الدراسات السامية والعربية والفيلولوجي في جامعات برلين وميونيخ وطهران، عملتْ كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات، مثل: برلين وميونيخ وبامبرغ، كما عملت كأستاذة زائرة في بعض الجامعات، مثل: جامعة عمان بالأردن وجامعة عين شمس بالقاهرة.

أشرفت على عدد من المشاريع العلمية، منها: مشروع (كوربس كورانيكوم).

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمة في مجال القرآن ودراساته.

من أهمها:

Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang, 2010

القرآن كنصّ من العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية.

وقد ترجم للإنجليزية هذا العام فصدر بعنوان:

The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage, 2019

Studien zur Komposition der mekkanischen Suren, 1981

دراسات حول تركيب السور المكية.

وقد ترجمنا لها بعض الدراسات على قسم الاستشراق، يمكن مطالعتها على موقع تفسير. (قسم الترجمات).

٤. إشكالية النقل الشفهي:

إحدى النقاط الملموسة التي أثارها أبراهام جيجر ولاحقًا باحثون آخرون في القرنين التاسع عشر وبداية العشرين هو أنّ الكثير من المادة الكتابية في القرآن لم تُستمد مباشرة من أسفار الكتاب المقدّس العبري (التناخ)، بل من نصوص خارج الكتاب المقدّس مثل المدراش على سفر التكوين، وحياة آدم وحواء، أو إنجيل الطفولة لتوما. احتوى القرآن على عدد قليل جدًّا من الاقتباسات المباشرة من أسفار الكتاب المقدس. فضلًا على ذلك، كانت هناك تناقضات بين النُّسَخ الكتابية للقصص وتلك الموجودة في القرآن. أدّى قبول أفكار جيجر إلى انتشار الفكرة القائلة بأن طريقة انتقال المادة الكتابية إلى القرآن كانت شفوية بالكامل؛ إِذْ كان يُتصوّر أنّ المواد الكتابية دخلت عالم الفولكلور، ومن خلال هذا الفولكلور وصلت إلى القرآن. كما يقول جاكوب لاسنر Jacob Lassner: «يكفي أن نقول إن جيجر اعتبر محمدًا [ﷺ] غير قادر على الاطلاع المباشر على المصادر اليهودية. فمن خلال التراث الشفهي الشعبي (الفولكلور)، استوعب النبي المسلم [ﷺ] وأتباعه التاريخ السامي لشعب الله المختار» (Lassner 1999: 129). وهذا يفسِّر كيف ظهرت التناقضات بين الروايات القرآنية والروايات الكتابية للقصص، ولماذا تم التغاضي عن أسفار الكتاب المقدّس لصالح نُسَخ أقلّ قانونية. وقد أثارت هذه النظرة المتعلقة بالنقل الشفهي للمادة الكتابية عزوفًا إلى حدٍّ ما عن البحث في نصوص معينة

يمكن أن تساعد في تفسير روايات القصص الكتابية التي وصلتْ إلى القرآن، حيث اعتبر البعض أن هذا جهدٌ عقيم؛ نظرًا للتنوّع الكبير الموجود في التقاليد الفولكلورية. وخاصةً لأنّ الرأي السائد كان أن القرآن مستمدّ من نصوص سابقة من خلال نقل شفهي غير مباشر، مما جعل علماء مثل نولدكه يعتبرون البحث في مثل هذه القضايا منفصلًا إلى حدّ ما عن جهودهم لفهم النصّ الصريح للقرآن.

٥. مواقف تجاه النظريات المختزلة للتأثير:

أحد المسارات المثيرة والمفاجئة في البحث الاستشراقي الأوروبي هو العلاقة بين المستعربين الألمان والنمساويين والهند. فقد أمضى المستشرق النمساوي ألويس شبرنجر (١٨١٣- ١٨٩٣) السنوات من ١٨٤٣ إلى ١٨٥٧ في الهند، حيث شغل منصب مدير كلية دلهي، ثم أمينًا عامًّا للجمعية الآسيوية في البنغال بمدينة كلكتا. وخلال هذه الفترة، قام بتحقيق كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢=١٤٤٩)، (كلكتا: مطبعة مدرسة الأسقف، ١٨٥٣م)، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (كلكتا: مطبعة الإرسالية المعمدانية، ١٨٥٧)، و(كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي (كلكتا: مطبعة ليز، ١٨٦٢). كما نشر سيرة للنبي [ﷺ] باللغة الإنجليزية بعنوان: The Life of Muḥammad (حياة محمد [ﷺ]) (الله أباد: مطبعة البعثة المشيخية، ١٨٥١)، التي سيوسعها لاحقًا لتصبح سيرة من ثلاثة مجلدات باللغة الألمانية. وقد لعبتْ كلّ من الطبعات العربية والسيرة دورًا بالغ الأهمية في تقدّم الدراسات القرآنية والإسلامية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر. درّس جوزيف هوروفيتس في المدرسة المحمدية الأنجلو شرقية في عليكرة من ١٩٠٧ إلى ١٩١٤، قبل أن يعود إلى ألمانيا لتولّي منصب أستاذ اللغات السامية في جامعة فرانكفورت (Johnston-Bloom 2018). ومن الحلقات الأخرى في هذا التقليد تدريس يوهان فوك في البنغال خلال ثلاثينيات

القرن العشرين. أكمل يوهان فوك (١٨٩٤- ١٩٧٤) دراسته في جامعة مارتن لوثر هاله- فيتنبرغ وجامعة فرانكفورت في عام ١٩٢١ بأطروحة عن سيرة ابن إسحاق (ت. حوالي ١٥١=٧٦٨). وبعد أن عمل محاضرًا في اللغة العِبرية من عام ١٩٢١ إلى ١٩٣٠، شغل منصب أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة دكا في البنغال من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٣٥.

كان للوقت الذي قضاه فوك في البنغال تأثير عميق على آرائه حول الثقافة الإسلامية، وكانت هذه التجربة مسؤولة إلى حدٍّ كبيرٍ عن الآراء التي عبّر عنها في مقالته عام ١٩٣٦ حول أصالة النبي [ﷺ]، المنشورة في Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (مجلة الجمعية الشرقية الألمانية) في العام التالي لعودته من البنغال (Fück 1936; Ende 1976). في هذه المقالة، انتقد هوس الباحثين الغربيين الذين يعملون على سيرة النبي [ﷺ] والدراسات القرآنية، بمحاولة تتبّع سِمَات القرآن والدِّين الإسلامي وردّها إلى مصادر يهودية ومسيحية. ورأى أنّ مثل هذه الروابط عرضة بدرجة مفرطة للأحكام الذاتية. وقد لفَت الانتباه إلى أن تشارلز كاتلر توري Charles Cutler Torrey رأى أنّ الإسلام المبكِّر كان بالكامل نتاج التأثير اليهودي، في حين اعتبر كارل أهرنز Karl Ahrens أنه نتاج التأثير المسيحي؛ وكان الاثنان متناقضَيْن تمامًا لعدم موثوقية منهجيتيهما. وفي تقدير فوك، كانت دراسات جوزيف هوروفيتس أقلّ تحيّزًا، وأكثر موضوعية، وأوثق من حيث البنية

الاستدلالية. وفضلًا عن ذلك، فقد أدّت هذه الدراسات إلى تصوير الإسلام على أنه مجرّد اقتباس من ديانات سابقة. وقد نادى فوك بضرورة اتّباع منهجٍ بحثي يعترف بالأصالة الكامنة في شخصية النبي [ﷺ] ودين الإسلام، بدلًا من التركيز على طبيعتهما الاقتباسية.

ليس من السهل تتبّع تأثير مقالة فوك، ولكن يُشير البعض إلى أنها كان لها تأثير خانق على دراسات مصادر القرآن في منتصف القرن العشرين. فقد شجّعت التركيز على حياة محمد [ﷺ]، ربما تحت تأثير الأبحاث حول حياة المسيح، التي تطورت أيضًا خلال تلك الفترة (Neuwirth 2008: 18–19). ركز تور أندريه Tor Andrae، وهانز بيركيلاند Hans Birkeland، ومونتجمري وات، ورودي بارت على الخبرات والجوانب النفسية للنبي [ﷺ]. وقد شكّلت هذه المناقشات -عمليًّا- الجزء الأكبر من إضافات وات على مقدّمة بيل. وكما هو الحال في كثير من الحالات التي نُوقشت هنا، فإن انتقادات فوك للأبحاث السابقة تنطوي على قدرٍ كبيرٍ من المعقولية، ولم يكن في النموذج البحثي الذي تصوّره أو أسهم في ترسيخه ما يدعو إلى الاعتراض. إلا أنّ ردّ الفعل، كما في حالات كثيرة في تاريخ الدراسات القرآنية، لم يكن معتدلًا. ويُعْزى ذلك جزئيًّا إلى ضيق نطاق هذا الحقل البحثي، حيث إنّ التوجهات الجديدة التي شُجّعت أدّت إلى نوع من الانسداد، بحيث توقّف البحث في علاقة القرآن بالنصوص الكتابية عن التطوّر أو الاستمرار. تلاقتْ

اهتمامات فوك مع اهتمامات باحثين مثل وات، ممن كانوا مهتمين بالحوار بين الأديان، لكنني لا أعتقد أنّ فوك كان معنيًّا في المقام الأول بالعلاقات بين الإسلام والمسيحية في إطار الحوار الديني. بل يبدو أنه كان مهتمًّا بإمكانية التفاهم بين الثقافات ضمن إطار أوسع من الحوار العقلاني المنفتح.

٦. الاهتمام بالتفسير القرآني في مناهج دراسة النصوص الإسلامية:

قد يُعزى تجاهل موضوع الصِّلَات الكتابية بالقرآن في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين -إلى حَدٍّ ما- إلى التكوين المؤسّسي للدراسات الإسلامية في أمريكا الشمالية. شهدت أمريكا الشمالية في النصف الثاني من القرن العشرين ازدهارًا في دراسات المناطق، التي ابتعدَت عن الدراسات الاستشراقية التقليدية، وركّزت على التاريخ الحديث والنهج العلماني، مع إيلاء اهتمام قليل نسبيًّا للمواضيع الدينية. تنبّأت نظريات التحديث السائدة آنذاك بأن الدين سيتراجع بصورة متزايدة عن المجال العام، وسيغدو أقلّ تأثيرًا شيئًا فشيئًا، مع ازدياد الطابع (العقلاني) للثقافة في الشرق الأوسط وأماكن أخرى. وكان التركيز في ذلك الوقت على التاريخ السياسي والاجتماعي، وثورات الفلاحين، وثورات الجياع، و(المدينة الإسلامية)، بدلًا من علم الكلام أو الحديث أو القرآن. وفي هذا السياق، انتقلَتْ مسؤولية الدراسات الإسلامية، بما في ذلك الأبحاث حول القرآن، إلى الباحثين في مجال الدراسات الدينية. أتاح منهج تاريخ الأديان ودراسة الأديان المقارنة سبيلًا للدراسات الدينية، التي هيمن عليها تاريخيًّا اللاهوت البروتستانتي والدراسات الكتابية، لاحتضان دراسة الإسلام والديانات العالمية الأخرى، وبدأ الباحثون العاملون في هذا التخصّص بالكتابة عن المواضيع الإسلامية.

لم يركّز عملُ الباحثين في الدراسات الدينية على المصادر الكتابية للقرآن، بل عمد بعضهم إلى تثبيط مثل هذه الدراسات. ويعود السبب في ذلك إلى ردّ فعلهم على هيمنة النظرة اللاهوتية المسيحية على الدراسات الدينية التاريخية. كان الباحثون يطمحون إلى التعامل مع الأديان غير المسيحية بروح متفهّمة باعتبارها تراثًا يستحقّ الاحترام والفهم العميق، دون إدانتها باعتبارها مضلّلة أو غير عقلانية أو قاصرة عن المثل الروحية العليا للمسيحية. ورغم أنهم كانوا يتناولون الموضوع من وجهة نظر مختلفة وبأهداف مختلفة، إلا أن اهتمامات هؤلاء الباحثين تداخلتْ مع اهتمامات الباحثين المسيحيين الملتزمين بالحوار المسيحي-الإسلامي. واتفقت المجموعتان على تجنُّب بعض المواضيع المثيرة للجدل، بما في ذلك المصادر الكتابية للقرآن.

كان ويلفريد كانتويل سميث Wilfred Cantwell Smit (١٩١٦-٢٠٠٠)[١] من بين أكثر الباحثين تأثيرًا في الجهود الرامية إلى دمج التقاليد غير

(١) ويلفرد كانتويل سميث Wilfred Cantwell Smith، (١٩١٦- ٢٠٠٠): عالم أديان مقارنة وإسلاميات كندي، مؤسّس معهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماكجيل بمونتريال، ومدير مركز جامعة هارفرد لدراسة الأديان، له عدد من الكتابات المهمّة حول الإسلام في الهند وحول الأديان، منها:
Modern Islam in India: A Social Analysis, Ripon Printing Press, 1946
الإسلام الحديث في الهند: تحليل اجتماعي.
Towards a World Theology: Faith and the Comparative History of Religion, Westminster Press, 1981
نحو لاهوت عالمي: الإيمان والتاريخ المقارن للدين.
=

المسيحية في مجال الدراسات الدينية. وقد درس اللغات الشرقية في تورنتو وكامبريدج، ودرّس من عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٦ في كلية فورمان المسيحية في لاهور، ونال درجة الدكتوراه في دراسات الشرق الأدنى من جامعة برينستون عام ١٩٤٨ بأطروحة عن مجلة الأزهر. وواصل التدريس لاحقًا في جامعات ماكجيل وهارفارد ودالهوزي. كما رُسِم قسًّا مشيخيًّا. أصبح كانتويل سميث شخصية رائدة في الدراسات الإسلامية في أمريكا الشمالية، وكان لعمله تأثير هائل على الأجيال اللاحقة من المتخصِّصين في الدراسات الإسلامية. ومن أبرز ما يظهر في كتاباته، سعيه إلى إظهار أنّ الأديان غير المسيحية جديرة بالاحترام والدراسة المتفهمة، بعيدًا عن قيود الفيلولوجيا في القرن التاسع عشر، والهوس بمسألة الأصول والاشتقاق اللغوي. وكان هدفه توسيع نطاق الدراسات الدينية خارج تركيزها التقليدي على المسيحية البروتستانتية والمناطق الجغرافية لأوروبا وأمريكا الشمالية، واستكشاف الأدوار التي لعبها الدِّين في حياة المؤمنين في مختلف أنحاء العالم وعلى مرّ التاريخ (Smith 1962; 1963; 1967; 1976; 1977a; 1977b; 1981; 1989; 1993).

=

What Is Scripture?: A Comparative Approach, Fortress Press, 1994

ما الذين يعنيه الكتاب المقدس؟ مقاربة مقارنة. (قسم الترجمات).

عرض كانتويل سميث خلاصة أفكاره حول دراسة القرآن في كلمته الافتتاحية بصفته رئيس جمعية دراسات الشرق الأوسط في مؤتمرها لعام ١٩٧٨ (Smith 1980). وقد أوضح في تلك الكلمة أنّ الدراسات الغربية للقرآن لم تتعامل مع النصّ المقدّس الإسلامي بوصفه (كتابًا مقدّسًا) بجدّية كافية. فقد ركّز الباحثون الغربيون في محاولاتهم لفهم القرآن على مكان وزمان محدّدَين -الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي- وتجاهلوا الدور المحوري الذي أدّاه القرآن في حياة المسلمين لعدّة قرون بعد ذلك وعلى امتداد جزءٍ كبيرٍ من العالم المعمور. يرى سميث أنّ الباحثين الغربيين انطلقوا من قناعة بأنّ تحديد أصل شيء ما يُمثّل أفضل تفسير له، لكنه يوضح أنّ اللغة بطبيعتها دائمة التغيّر، وأنّ معرفة المعنى القديم لكلمة ما لا يُفضي بالضرورة إلى فهم معناها في الحاضر. فعلى سبيل المثال، كلمة "manufacture" تعني اشتقاقًا (الصنع باليد)، لكنها في الاستعمال المعاصر لم تعد تدلّ على هذا المعنى إطلاقًا (Saleh 2010). ويضيف سميث أنّ للقرآن أهمية كبيرة لدى كثير من المسلمين، ولأنه كتابهم المقدّس، فقد لجأوا إليه دومًا، إلا أنّ الباحثين الغربيين تجاهلوا كلّ هذا وعدّوه غير جدير بالاهتمام، فحتى إن تمكنّا من استعادة المعنى الكامل للقرآن لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، فإنّ هذا لا يمثل إلا جزءًا صغيرًا من فهم المعنى التاريخي للنصّ المقدّس في الإسلام.

إنّ تركيز الباحثين الغربيّين على الأصول، وغياب فهمهم لطبيعة القرآن بوصفه نصًّا مقدّسًا، دفعهم إلى تجاهل التراث الإسلامي إلى حدّ صادم. ويُعَدّ

أبرز ما يُسيء لهذا التراث -في نظر سميث- إلى جانب وصف محمد [ﷺ] بأنه (الرجل الذي كتب القرآن)، كانت في إنتاج ترجمات مُرتبة حسب ترتيب تاريخي مُفترض للسور، بدلًا من الترتيب المعتمد في المصحف كما يتداوله المسلمون (Smith 1980: 496). ويشير إلى أن هؤلاء الباحثين يفترضون أن (القارئ الغربي سيكون مهتمًّا، بطبيعة الحال، بشكلِ هذا النصّ قبل أن يصبح كتابًا مقدَّسًا للمسلمين، لا بعده). كما ينتقد الممارسة الغربية المتمثلة في تجاهل هذا الصرح الشامخ من التفسير الإسلامي للقرآن، الذي هو نتاج قرون من الدراسة الدقيقة من قِبَل علماء عرفوا -أكثر من علماء الغرب المعاصرين- ما يعنيه النصّ للناس في زمانهم، وبذلك استطاعوا تقديم رؤى قيّمة حول معنى القرآن بوصفه نصًّا مقدَّسًا. لكن الباحثين الغربيين دأبوا على رفض أو استبعاد كلّ هذا بدعوى أنّ هذه الأعمال (متأخرة)، وكما يوضح سميث، فإنّ كلمة (متأخر) كانت بالنسبة لهم مصطلحًا يحمل دلالة سلبية.

تناول كانتويل سميث في خطابه مسألة مصادر القرآن بإيجاز، مشيرًا إلى أن الباحثين الغربيين في الدراسات القرآنية قد ألَّفوا كتبًا حول مصادر أفكار محمد [ﷺ]، وانشغلوا في الماضي بالجدل حول مدى تأثر هذه الأفكار بالتراث اليهودي أو المسيحي. غير أنه رأى أن هذه المسألة لا تحمل في ذاتها أهمية كبيرة، فإنْ كنا نريد التعامل حقًّا مع القرآن باعتباره نصًّا مقدسًا، فالأَوْلَى أن نولي عناية أكبر للعوامل التي حملت اليهود والمسيحيين على الإعجاب بالقرآن

والإسلام والدخول في الدِّين الجديد، وإلى الدور الذي اضطلع به القرآن بوصفه نبراسًا هاديًا في حياة المسلمين على مدى القرون المنصرمة.

وخلاصة القول أنّ كانتويل سميث دعا الباحثين في الدراسات الدينية إلى التركيز على فهم معاني القرآن عند المسلمين في فترات تاريخية وجغرافية ولغوية مختلفة، وأن يُولوا اهتمامًا لِما يميز القرآن عن كتب الديانات الأخرى، مع ضرورة الاعتماد على التفاسير الإسلامية وعدم الاقتصار على دراسة بيئة الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، بل الاهتمام بتاريخ النصّ بعد نزوله أكثر من الاهتمام بما قبله.

وفي عرضه لهذا الطرح، قدّم كانتويل سميث عدة نقاط مُقنعة بشأن أوجه القصور والافتراضات المسبقة والتحيّزات التي شابت الدراسات القرآنية الغربية حتى عصره. لقد دعا في واقع الأمر إلى مشروع علمي واسع يركز على تلقّي القارئ للنصّ، وهو أمر لم يُنفذ من قبل. فقد عانت دراسة التفاسير القرآنية من إهمال شديد في البحث الأكاديمي الغربي، كما هو الحال بالنسبة لاستخدام النصّ المقدّس في الحياة الاجتماعية. ومع أن كانتويل سميث لم يذكر صراحة فروعًا أخرى مما يُعرف بـ(علوم القرآن) -وهي التخصّصات العلمية التي تُعْنَى برسم المصحف وقراءاته ونحوه وبلاغته وسائر خصائصه- فإنها تندرج ضمن ما كان يشير إليه أيضًا. وقد درج أكثر الباحثين الذين خاضوا في الموضوعات القرآنية على تجاهل التفاسير الإسلامية والفروع المعرفية ذات الصِّلَة من أبحاثهم، أو على الأقلّ لم يعيروها اهتمامًا كافيًا.

ومن بين باحثي الدراسات الدينية الذين كتبوا عن القرآن في أواخر القرن العشرين، قبل الطفرة الحالية في الدراسات القرآنية، نجد شخصيات، مثل: روفين فايرستون Reuven Firestone، ووليام أ. جراهام William A. Graham، وجين دامين مكوليف[1] Jane D. McAuliffe، وأندرو ريبين Andrew Rippin[2]، وبرانون ويلر Brannon Wheeler. ومع أنهم لم يكونوا

---

(١) جين مكوليف (١٩٤٤-...): أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة تورنتو، متخصّصة في الآداب والفلسفة الكلاسيكية والدراسات الإسلامية، وهي رئيس فخري لكلية برين ماور، وعميد سابق لجامعة جورج تاون، وهي مديرة مشروع الموسوعة القرآنية، والتي صدرت منها ستة مجلدات. لها بعض الكتب المتعلّقة بالتفسيرات الكتابية، والتفسيرات المسيحية، منها: المسيحيون القرآنيون، تحليل التفسير الكلاسيكي والحديث، ١٩٩١، في توقير الكلمة، التفسيرات الكتابية في العصور الوسطى، في اليهودية والمسيحية والإسلام، ٢٠٠٢. (قسم الترجمات).

(٢) أندرو ريبين Andrew Rippin، (١٩٥٠- ٢٠١٦): هو باحث كندي من أصل بريطاني، وُلِد في لندن، وقد عمل كباحث زميل في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن، منذ عام ٢٠١٣م، قبل وفاته في ٢٠١٦م، واهتمامه الرئيس يتعلّق بدراسة الإسلام المبكّر، ودراسة تفسير القرآن في العصور الكلاسيكية، له عدد من المؤلّفات التي قام بتأليفها أو المشاركة في إعدادها، مثل:

Guide to Islam, co-authored with David Ede, Leonard Librande, Donald P. Little, Richard Timmis, and Jan Weryho, Boston 1983.

دليل إلى الإسلام، مع ديفيد إيدي ليونارد ودونالد ليتل ريتشارد.

كما حرّر كتابًا مهمًّا بعنوان:

Approaches to the history of the interpretation of the Qurʾān (ed.), Oxford 1988

(مقاربات في تاريخ تفسير القرآن).

وهو كذلك محرّر الدليل المهم:

Blackwell companion to the Qurʾan (ed.), Oxford 2006

(قسم الترجمات).

جميعًا من طلاب كانتويل سميث، وربما لا يعتبرون أنفسهم متأثرين به بشكل مباشر، فإنّ أعمالهم مجتمعةً قد استجابت لدعوته إلى التعامل مع القرآن بجديّة باعتباره الكتاب المقدّس للإسلام. فقد كتب وليام أ. جراهام عدّة مؤلَّفات تستقصي تبعات الاعتراف بالمكانة المقدّسة للقرآن، منها دراسة حول الطبيعة الشفهية للقرآن باعتباره نصًّا مقدّسًا، ثم كتاب عن الأبعاد الشفهية للنصوص المقدّسة في الأديان العالمية، وخصّ القرآن منها بنصيب (Graham 1985, 1987). وأفرد أندرو ريبين عدّة دراسات للتراث الإسلامي المتعلّق بالقرآن، فتناول فيها بالدرس أنواعًا فرعية محدّدة من علوم القرآن، مثل: النسخ وأسباب النزول وغريب القرآن وغيرها، إلى جانب علم التفسير (Rippin 1981, 1982, 1984, 1985, 1988a,1988b). وتناول روفين فايرستون قصص إبراهيم وإسماعيل [عليهما الصلاة والسلام] كما وردت في التفسير الإسلامي (Firestone 1990). وكتبت جين مكوليف دراسة متخصّصة حول صورة المسيحيين في التفاسير القرآنية عبر التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى دراسات أخرى متخصصة في التفسير (MacAuliffe 1982, 1983, 1991).

وأفرد برانون ويلر دراسة لتحليل تفسير مقطعين قرآنيّين يتعلقان بشخصية موسى [عليه السلام]، وهما الآيات (٦٠- ٨٢) من سورة الكهف والآيات (٢١- ٢٨) من سورة القصص (Wheeler 2002). وقد أغنت هذه المصنفات البحث العلمي في مجالي الدراسات القرآنية والتفسير. بيد أنني أرى أن هذا

التوجه -الذي يقف خلفه تأثير دعوات كانتويل سميث- قد أفضى إلى إغفال مسائل مهمة تتصل بعلاقة القرآن بالتراث اليهودي والمسيحي، وبخاصّة علاقته بالنصوص الكتابية. ونظرًا لقلّة عدد الباحثين المتخصّصين في هذا المجال آنذاك، فإنّ انصرافهم إلى دراسة التفسير القرآني قد ترك موضوعات أخرى دون دراسة كافية.

شاع في بعض الأوساط العلمية اعتقاد راسخ بأنّ البحث الذي ينصرف إلى دراسة علم التفسير يُعَدّ أوثق، أو أفضل، من معالجة نصّ القرآن مباشرةً، سواء بدافع ضرورة الحوار المؤدّب، أو التزامًا بالمعاملة الموقّرة التي يتوجب على باحثي الدراسات الدينية أن يَحُوطوا بها النصوص المقدّسة. استنكر أندرو ريبين، في تصدير كتاب محرّر نُشر عام ١٩٨٨ حول فنّ التفسير، التركيزَ المفرط الذي أبداه باحثو الدراسات القرآنية في سعيهم المحموم لإعادة بناء (المعنى الأصلي) للنصّ، مشيرًا إلى أن حتى أكثر الطرق لباقةً في الإشارة إلى هذا السياق وتجنب الإشارة إلى شخص محمد [ﷺ] بوصفه مؤلِّف القرآن، لم تُفلح في التغلّب على المشكلات المتأصلة في هذا المنهج. وتتضمّن هذه المشكلات استحالة المهمة من أساسها، حيث يؤكّد ريبين أنّ «الباحث المعاصر لن يصبح يومًا رجلًا من أهل الحجاز في القرن السابع الميلادي، بل سيظلّ دومًا مؤرخًا أو لغويًّا من أبناء القرن العشرين». ومنها أيضًا انعدام اليقين في أيّ محاولة إعادة بناء يمكن بلوغها، وذلك بالنظر إلى طبيعة الأدلة، فضلًا عن التبسيط المخلّ في

مساواة المعنى في السياق الأصلي بـ(المعنى الحقيقي) للنصّ، وهو افتراض ما انفك النقّاد في الحقل الأدبي يشكّكون في صحته. ويرى ريبين أنّ التركيز على التفسير يُمكّن الباحثين من تفادي هذا المأزق التأويلي. فمن خلال المدونة التفسيرية، يتسنى للباحث أن يؤسّس تاريخًا شاملًا لتفاعل القرّاء المسلمين مع القرآن، وهذا «يبدو أنه المهمة الأكثر ملاءمة وإقناعًا وثمرة للباحث المعاصر في ميدان الدراسات القرآنية» (Rippin 1988b: 2– 4).

وردًّا على اقتراح ريبين، يمكن القول: إنَّ تبنّي هذا المنهج قد يكون بالفعل مناسبًا ومثمرًا، لكنه لا يُغني عن الحاجة إلى دراسة القرآن كما كان في القرن السابع الميلادي. وتُعَقِّب باتريشيا كرون Patricia Crone قائلة: إنه كما يتعذّر على الباحثين أن يصبحوا حجازيّين من القرن السابع الميلادي، فكذلك يستحيل عليهم أن يصبحوا عراقيّين من القرن العاشر الميلادي أو مصريّين من القرن التاسع عشر، وعليه فإنّ المسلك البديل الذي يقترحه ريبين ليس مختلفًا تمامًا ولا خاليًا من الإشكاليات كما يظنّ (Crone 1994: 1 n. 2). ويسوق دانييل ماديغان Daniel Madigan[(١)] حجة مشابهة، محتجًّا بأنّ القرآن بحدّ ذاته

(١) دانييل ماديغان Daniel Madigan: كاهن يسوعي معاصر، أستراليّ الأصل، وهو مؤسس ومدير معهد دراسات الأديان والثقافات بالجامعة الغريغورية البابوية، حاصل على دكتوراه في الدين الإسلامي من جامعة كولومبيا الأمريكية عام ١٩٩٧، وعمل كأستاذ زائر في عدد من الجامعات، كولومبيا، أنقرة، بوسطن، من أهم كتبه: The Qur'ân's Self-Image: Writing and Authority in Islam's =

يمكن فهمه باعتباره تفسيرًا لرسالة النبي [ﷺ] ولتشكّل المجتمع الإسلامي المبكّر، ما يعني أنّ نوعي النصوص (القرآن والتفسير) وأساليب دراستهما متقاربتين إلى حدّ كبير (Madigan 1995: 345–6). فضلًا عن ذلك، هناك عدد من الألغاز في القرآن تُظهر أنه حتى بعد قرنَيْن أو نحو ذلك من جمع النصّ، ظلّت بعض عناصره تُثير الحيرة، ما يدلّ على أنَّ أواصر الصِّلَة بين المفسِّرين والسياق التاريخي الأول كانت قد انقطعت. وهذا يفرز إشكاليات ذات أهمية خاصّة للباحث المعاصر لا سبيل إلى حلّها بمجرّد الركون إلى التفاسير المتأخرة (Crone 1994: 1–2).

وبالمثل، يُعرب برانون ويلر عن تفضيله لدراسة التفاسير القرآنية في تقييمه لتطوّر الدراسات حول العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس (Wheeler 2002: 3). فبعد أن استعرض جهود روفين فايرستون في دراسة قِصّتي إسحاق وإسماعيل [عليهما السلام] في القرآن، وعمل جاكوب لاسنر حول ملكة سبأ في المدوّنة التفسيرية الإسلامية، أشار إلى أن الدراسات السابقة قد انتهجت نهجًا مَالَ إلى التعامل مع العناصر المشتركة بين القرآن والكتاب المقدّس على أنها

=

Scripture (2001)، الصورة الذاتية للقرآن: الكتابة والسلطة في نصّ الإسلام المقدس. وقد نشرنا عرضًا لهذا الكتاب كتبته يامنة مرمر، ترجمة: هدى عبد الرحمن النمر، منشور ضمن الترجمات المنوعة على قسم الاستشراق بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

استعارة أو انتحال، وغالبًا ما يشير إلى أنّ القرآن مجرّد نصّ مشتقّ، وفي بعض الحالات، يكشف عن رغبة في إظهار زيف الادعاءات الإسلامية بأنّ القرآن وحي إلهي (Firestone 1990; Lassner 1993). ويرى ويلر أن هذه الدراسات الحديثة مثّلَت تقدمًا ملموسًا:

ومما يُعَدّ مفيدًا ذلك التحوّل من القرآن إلى تفسيره، والانتقال من نموذج الاقتباس إلى التناص، والتوجّه نحو نسب الغرض والقصد إلى استخدام وتلميح المفسِّرين المسلمين للنصوص الكتابية والتفسير اليهودي (Wheeler 2002: 5).

ومع أنّ المرء قد يتّفق مع النقطتَيْن الأخيرتَيْن تحديدًا، فإنّ النقطة الأولى تبدو غريبة، فلأيّ سبب يُعتبر التركيز على تفاسير القرآن أفضل من الناحية الجوهرية، أو أنفع من الجهة العملية، أو أجدَى من الزاوية المعرفية من التركيز على القرآن نفسه؟ وقد نبّهت أنجيليكا نويفرت إلى أن هذا الضرب من البحث يغفل اعتبارًا بالغ الخطورة والأهمية، ألا وهو أنّ القرآن –حتى قبل أن يُجمع ويُستعمل بوصفه كتابًا مقدّسًا من لدن الجماعة المؤمنة– كان قد قدّم ذاته بوصفه كلامًا إلهيًّا مقدّسًا، وعليه فإنّ إدراك القرآن بوصفه كتابًا مقدّسًا ينطوي بالضرورة على التنقيب في منابعه الأُولى والنصّ القرآني ذاته، وليس مجرّد الاكتفاء بتحليله من خلال منظور المسلمين المتأخِّرين وفهمهم للنصّ (Neuwirth 2007: 117, 122).

تبدو فكرة أنّ التركيز على التفسير كان هو النهج الأمثل في الدراسات القرآنية ناشئة عن أحد أوجه تلقّي توجيهات كانتويل سميث لباحثي الدراسات الدينية بأن يقاربوا القرآن مقاربة جادّة بوصفه كتابًا مقدّسًا. وقد اعتبرت دراسة القرآن عبر منظور عِلْم التفسير طريقة مُرضية لتمثّل الفهم الإسلامي للنصّ المقدّس. ويُعَدّ تصريح ويلر مجرّد واحد من عدّة مؤشّرات في الدراسات الأكاديمية على هذا الاتجاه، الذي يظهر فيه ميل بعض الباحثين الذين كانوا ينشرون في هذا المجال على مدى عدّة عقود في أواخر القرن العشرين إلى اعتبار بعض الموضوعات القرآنية محظورة أو غير مناسبة للبحث. ولا ينتقص هذا من قيمة إنتاجهم العلمي؛ إِذْ توجد أسباب وجيهة لدراسة تلقّي المسلمين للقرآن عبر التاريخ. ومع ذلك، فإنّ آراء الباحثين الذين تبنّوا هذا النهج تسهم في تفسير الفجوة التاريخية في بعض جوانب الدراسات القرآنية، وهو ما تحاول هذه الدراسة معالجته.

٧. ردود الفعل على كتاب الهاجرية[١] ومؤلفات وانسبرو:

نشرت باتريشيا كرون ومايكل كوك Michael Cook كتاب: Hagarism (الهاجرية)، في عام ١٩٧٧، ونشر جون وانسبرو John Wansbrough[٢] كتاب: Quranic Studies (دراسات قرآنية)، وكتاب: The Sectarian Milieu (البيئة الطائفية) في عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨ على التوالي. ركّزت الأعمال الثلاثة جميعها على الصِّلَات بين القرآن والإسلام المبكّر من جهة، والتراث الكتابي من جهة أخرى. كان بوسع كلّ واحد من هذه المؤلَّفات أن يحفز إعادة

(١) كلمة (هاجرية) "Hagarism" تعود إلى القرن السابع الميلادي، وتشير بالأساس إلى القبائل المنتمية لشبه الجزيرة العربية المسمّاة في مصادر العصور الوسطى بكلمة (الهاجريين) "Hagarene". ويشير الكتاب إلى فرضية تقول: إنّ الإسلام في بداياته لم يكن حركة دينية مستقلة، بل كان حركة سياسية-دينية ظهرت في سياق الشرق الأدنى المتأخر، وارتبطت بما يسمِّيه المؤلفان بـ(أبناء هاجر)، أي: العرب، في مقابل (أبناء سارة)، أي: بني إسرائيل. [المترجم].

(٢) جون وانسبرو John Wansbrough، (١٩٢٨م- ٢٠٠٢م): مستشرق أمريكي، يعتبر هو رائد أفكار التوجه التنقيحي، وتعتبر كتاباته منعطفًا رئيسًا في تاريخ الاستشراق؛ حيث بدأت في تشكيك جذري في المدونات العربية الإسلامية وفي قدرتها على رسم صورة أمينة لتاريخ الإسلام وتاريخ القرآن، ودعا لاستخدام مصادر بديلة عن المصادر العربية من أجل إعادة كتابة تاريخ الإسلام بصورة موثوقة، ومن أهمّ كتاباته:

Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation, Oxford University Press, 1977.

(الدراسات القرآنية، مصادر ومناهج تفسير النصوص المقدسة) (١٩٧٧م).

The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History, 1978

الوسط الطائفي: محتوى وتشكل (تاريخ الخلاص) الإسلامي. (قسم الترجمات).

دمج البُعْد الكتابي في الدراسات القرآنية عمومًا، وإثارة اهتمام متجدّد بالروابط العميقة بينهما. لكن هذا التفاعل لم يحدث، وتأخّرت الاستجابة لعقود.

كان كتاب: Hagarism: The Making of the Islamic World (الهاجرية: صناعة العالم الإسلامي)، يهدف إلى أن يشكّل انقطاعًا جذريًّا عن الدراسات السابقة حول بدايات التاريخ الإسلامي. ويمكن اعتباره تجربة فكرية، إذا كانت المصادر الإسلامية متحيّزة ومتأخرة، فكيف سيبدو تاريخ نشأة الإسلام المستند إلى مصادر خارجية؟ يبدأ كتاب (الهاجرية) بخطوة جريئة تمثّلَت في تجاهل المصادر الإسلامية التقليدية وإعطاء الأولوية لعدد محدود من المصادر اليهودية والمسيحية المكتوبة بالسريانية واليونانية والآرامية والأرمنية وغيرها. ويعلن المؤلِّفان صراحة أن عملهما «بعثة استكشافية رائدة عبر أرض وعرة جدًّا، لا رحلة برفقة مرشد سياحي». يُقرّ الكتاب بالصِّلَة الوثيقة بين الإسلام والتقاليد اليهودية والمسيحية، ويصور الحركة الإسلامية على أنها مرّت بمرحلتين؛ كلتَيْهما مدين بشدّة لتلك التقاليد.

في المرحلة المبكّرة، كان الإسلام حركة يهودية مهدوية هدفها استعادة مملكة القدس، وعُمَر فيها هو الفاتح المخلّص. تبنّت الحركة الأولى من السامرية اعتقادًا بشرعية أسفار موسى الخمسة (التوراة) ورفضت باقي كتب العهد القديم. وفي المرحلة اللاحقة، تصالحتْ إلى حدٍّ ما مع المسيحيين في المنطقة، وانقطعت الحركة عن جذورها اليهودية المهدوية، وقبلتْ بيسوع

بوصفه المسيح المخلِّص، وأعادت تصوير محمد بوصفه (نبي مثل موسى) الموعود به في سفر التثنية. واستعارتْ مفاهيم من السامرية، فأنشأت في مكة حرمًا بديلًا لهيكل القدس، على غرار هيكل السامريين في شكيم، وأسّست الإمامة الإسلامية أو الخلافة محاكاة للكهانة الهارونية. ولإتمام التماثل بين محمد وموسى، وجد أتباع الحركة أنه من الضروري جعل القرآن نصًّا مقدسًا موازيًا لِما أُوتي موسى (Crone and Cook 1977: 3–28).

يتضمّن كتاب (الهاجرية) اقتراحات عبقرية كثيرة، لكن الكثير منها يبدو من نسج الخيال أو عبارة عن استقراءات كبيرة مبنيّة على تعليقات عابرة في نصوص سجّلها خصوم الحركة الإسلامية ممّن ربما كان وصولهم إلى المعلومات محدودًا جدًّا. يمثّل العمل تمرّدًا فكريًّا شبابيًّا ضدّ ما رآه المؤلِّفان حقلًا متعجرفًا ومبالغًا في الرضا عن نفسه. إنّ الصورة التي تظهر للتاريخ المبكّر للإسلام، حين الاعتماد شبه الكامل على المصادر الخارجية، تشبه ما قد ينتج لو كتب تاريخ البابوية معتمدًا فقط على نصوص خصومها البروتستانت. ولئن هزّ كتاب (الهاجرية) الحقل بمعنى ما، فإنّ ردود الفعل عليه كانت سلبية وغير مثمرة في معظمها، واقتصرت على الاعتراض عليه باعتباره هجومًا إمّا على الإسلام أو على الدراسات الراسخة في الحقل. ولم يسهم المؤلِّفان في تحسين استقبال الكتاب عندما أدرجَا تعليقات تهكّمية متمرّدة في تحليلاتهم، مثل الإعلان في المقدّمة بأن «هذا كتاب كتبه كفار للكفار» (Crone and Cook 1977: vii). جاءت معظم الردود من مؤرخين، مثل فريد دونر Fred

Donner في كتابه: Muhammad and the Believers (محمد والمؤمنون)[١]، الذي حاول تقديم سردية للتاريخ الإسلامي المبكّر تأخذ في الاعتبار كلًّا من المصادر الإسلامية وغير الإسلامية، بما في ذلك القرآن (Donner 2010). وفي العقود الأخيرة، أعاد بعضُ الباحثين إحياء نموذج الهاجرية، ومن أبرزهم: يهودا د. نيفو Yehuda D. Nevo، وجوديث كورين Judith Koren، وهما من باحثي مجموعة إنارة (Inārah)، وستيفن شومبكر Stephen Shoemaker، وغيرهم، ممن أصبحوا يُعرفون في الخطاب المعاصر بالمدرسة التنقيحية[٢] (Nevo and Koren 2003; Shoemaker 2011; Ohlig 2013; Sirry 2021).

طرح كتاب (الهاجرية) أسئلة مثيرة كان يمكن أن تفتح آفاقًا بحثية جديدة، مثل: دور التنبؤات اليهودية والمسيحية بنهاية العالم في الحركة الإسلامية المبكرة. وفي حين قد تكون الدعاوى العريضة للكتاب حول طبيعة الحركة الإسلامية المبكرة خاطئة، فلا شك أنّ القرآن مليء بتنبؤات نهاية العالم، التي يرتبط بعضها على الأقلّ بالتراث الكتابي. ويُمكن القول: إنّ المكانة البارزة لأسفار موسى الخمسة بين الكتب المقدّسة السابقة تُعَدّ سمةً بارزةً للنصّ

(١) نشرنا عرضًا لهذا الكتاب على موقع تفسير، كتبه جاك تانوس بعنوان: (عرض كتاب: محمد والمؤمنون)، ترجمة: مصطفى هندي. (قسم الترجمات).

(٢) عقد قسم الترجمات بموقع تفسير، ملفًّا كاملًا حول الاتجاه التنقيحي، يمكن مطالعته على قسم الترجمات بالموقع. (قسم الترجمات).

القرآني، كما هو الحال مع أوجه الشبه بين محمد وموسى، والهجرة وقصة الخروج في الكتاب المقدّس، والحرم في مكة والهيكل في القدس. كما تُبرز (الهاجرية) المفارقة الموجودة في التصوّر القرآني للأنبياء الناشئة عن إبراز موسى [عليه الصلاة والسلام] بصفته مثالًا يُحتذى به، من جهة، وإبراهيم وإسماعيل [عليهما الصلاة والسلام] بصفتهم واضعي أُسس دين (عربي) سابق على الإسلام، من جهة أخرى. وللأسف، لم تؤدّ ردود الفعل على الكتاب إلى نقاشات بحثية معمّقة مع هذه المواضيع، ربما بسبب أنّ الباحثين في الدراسات القرآنية والإسلامية أحجموا عن التفاعل مع كتاب قُدِّم بأسلوب فجّ وَوُصف مرارًا بأنه استشراقي، أو لأنهم رأوا أنه ينتمي إلى حقل التاريخ وليس إلى الدراسات القرآنية أو الدينية بحدّ ذاتها.

كان جون وانسبرو وريثًا للمستشرقين الألمان في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ إِذْ كان مهتمًّا بالقرآن والمواد الإسلامية مع دراسة متعمّقة للعِبرية والدراسات الكتابية، على النقيض من معظم أقرانه في الدراسات الإسلامية. وتُظْهِر أعمالُه تأثّرًا واضحًا بأساليب ومناهج الدراسات الكتابية، ويمكن تفسير دراستَيْه المتخصّصَتَيْن على أنهما محاكاة في الدراسات القرآنية لعملَيْن رائدَيْن في دراسة العهد الجديد: Die Geschichte der synoptischen Tradition (تاريخ التقليد الإزائي) (١٩٢١؛ تُرجم إلى الإنجليزية عام ١٩٦٢) وكتاب: Das Urchristentum im Rahmen den antiken Religionen (المسيحية الأولى في إطار الأديان القديمة) (١٩٤٩؛ تُرجم إلى الإنجليزية عام ١٩٥٦)، كلاهما لرودولف

بولتمان Rudolph Bultmann. سعى كتاب (دراسات قرآنية) مثل كتاب (تاريخ التقليد الإزائي)، إلى تفسير كيف تكوّن القرآن عدّة مكوِّنات دينية مختلفة من أقوال نبوية موجودة سلفًا ومتداولة شفاهيًّا. وبالمثل، زعم كتاب (البيئة الطائفية) أنّ القرآن استمدّ من تقليدَيْن دينيّيْن سابقَيْن وتشكّل بهما، هما اليهودية والمسيحية، تمامًا كما وضح كتاب (المسيحية الأولى في إطار الأديان القديمة) أنّ المسيحية المبكّرة استمدّت وتشكّلت من اليهودية والديانة الهلنستية.

وعلى نسق (الهاجرية)، كان في وسع مصنفات وانسبرو أن تستثير اهتمامًا متجددًا بالعلاقات الكتابية للمادة القرآنية، غير أنها أخفقتْ في ذلك. وتضافرتْ عوامل شتى وراء هذا الإعراض عن المادة الكتابية في تلقّي أعمال وانسبرو، منها تركيز وانسبرو على أوجه التشابه البنيوية والمفاهيمية العامة بدلًا من نماذج بعينها من الاقتباس. فمن وجهة نظره، استلهم القرآن لغة الكتاب المقدّس، ومجازاته، ومفاهيمه، ورموزه، وأنواعه النصّية، لكن ذلك كان انعكاسًا لخلفية ثقافية ودينية مشتركة، وتجلّيات لأنماط تعبيرية متقاربة. ولم يكن مهتمًّا بتتبّع روابط محدّدة بين آيات القرآن ونظائرها في الأدبيات الكتابية. وكذلك أنّ وانسبرو لم يبيِّن منهجيته، الأمر الذي جعل تفاعل الباحثين الآخرين في الحقل مع عَمَله أمرًا بالغ الصعوبة، وظلّ عمله عصيًّا على الفهم عند جمهرة الباحثين في الدراسات القرآنية والإسلامية لعقود، ولم يُصبح بالإمكان تناول تبعات أعماله تناولًا علميًّا دقيقًا إلا في الآونة الأخيرة.

وبما أنّ وانسبرو قد دخل في صلب الموضوع مباشرة دون استبانة تلك المسلّمات أو تعليلها أو الاحتجاج لصحّتها، فقد ركّز الباحثون على جوانب أخرى

من العمل اتّسمت بقدرٍ أكبر من التعيين والوضوح، مثل استخدامه لمصطلحات يونانية وعِبرية وألمانية دون تفسير، واعتماده على مفاهيم من التراث اليهودي، مثل: الهاجاديّة والماسوريّة[١] في تصنيفه للتفاسير الإسلامية، ولا سيّما الطرح القائل بأنّ تدوين القرآن حدث خارج شبه الجزيرة العربية، وذلك بعد قرون من الزمن عمّا كان يُعتقد عمومًا (على سبيل المثال، Manzoor 1987)، لقد انطلق وانسبرو من فرضية ضمنية مفادها أنّ القرآنَ نتاجٌ لتقليد كتابي خالص. وقد تلقّف هذا الخطّ الفكري لوانسبرو، باتريشيا كرون، التي زعمت استحالة أن تكون مكة مركزًا تجاريًّا ذا شأن قبل ظهور الإسلام، وجيرالد هوتينج Gerald Hawting، الذي زعم أن ما يظهر من مواد وثنية في القرآن كان على الأرجح انعكاسًا لجدالات بين الفرق اليهودية والمسيحية، ممن أرادوا وصفهم بأنهم هراطقة لا أمل في هدايتهم (Crone 1987; Hawting 1999). وعلى النقيض من ذلك، وجه روبرت برترام سيرجنت R. B. Serjeant انتقادات حادة لهذه الآراء، محتجًّا بأنّ العنصر العربي في القرآن كان قويًّا جدًّا ولا يمكن تجاهله بسهولة (Serjeant 1978; Serjeant 1990; Crone 1992). وبدوره رأى ماديجان أنّ أطروحات وانسبرو، وإن حلّتْ بعض الإشكالات التفسيرية، فقد أوجدتْ إشكالات أخرى، لا سيّما فيما يتعلّق بفكرة التدوين المتأخّر للقرآن خارج

(١) الماسورا كلمة مشتقة من الجذر (م س ر)، وتعني (نقَل) (أوْصَل)، وتعني اصطلاحًا التقليد، وهم الكَتَبة الذين أخذوا على عاتقهم تحديد نسخة موحدة للعهد القديم وتشكيلها لحسم الخلافات. والنصّ الماسوري هو الأساس لمعظم الترجمات البروتستانتية للعهد القديم. [المترجم].

شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، مع تجاهل أو رفض الأدلة المخالفة بشكلٍ مقتضب أو غير مبرّر (Madigan 1995: 353, 355–62).

ولم تبدأ الدراسات العلمية في تناول الفرضية الرئيسة الأخرى لوانسبرو، وهي أنّ تدوين القرآن أعاد تمثيل أو تكرار عملية اعتماد العهد الجديد، إلا في الآونة الأخيرة (Stewart 2016; Graves 2016). قد يُقال إنّ الاستجابة الأنسب لأعمال وانسبرو كان ينبغي أن تتمثّل في إجراء مقارنة شاملة بين هاتَيْن العمليتَيْن، وهو ما لم يتحقّق حتى الآن. وقد قام جوزيف ويتزتم Josef Witztum بمحاولة أوّلية لمعالجة ما يُعرف بـ(المشكلة الإزائية) في القرآن، متطلعًا لاستجلاء دلالات وجود آيات متوازية متعدّدة في النصّ المقدّس (Witztum 2014). كانت النتيجة أنّ الفرصة قد ضاعتْ في معظمها؛ فلم يطلق نشر هذه الأعمال موجة من الاهتمام المتجدّد بالمادة الكتابية في القرآن. ولم يبدأ الباحثون في استئناف هذا الخيط من الاستجابة لكتب (الهاجرية) و(دراسات قرآنية) و(البيئة الطائفية) إلا في العقد الماضي.

خاتمة:

إنّ الركود العام الذي خيّم على الدراسات القرآنية الغربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وما رافقه من إعراض عن العلاقة بين القرآن والتراث الكتابي، قد انقضى إلى غير رجعة. ولعلّ في نشر عمل كريستوف لوكسنبرج Christoph Luxenberg[(١)] حول (فك شفرة) القرآن عام ٢٠٠٠ نقطة تحوّل فاصلة في هذا المسار، فدعوى لوكسنبرج الجريئة بأنّ القرآن كُتب بلغة هجينة بين العربية والسريانية، وأنه مدين بقوّة للتراث المسيحي، وأنّ الالتفات إلى السريانية كفيل بحلّ ألغاز تفسيرية شتى يطرحها النصّ =شكّلت تحديًا للدارسين المتخصّصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، تحديًا أسهل فهمًا من فرضيات وانسبرو بكثير

(١) كريستوف لكسنبرج Christoph Luxenberg: هو اسم مستعار لكاتب ألماني، أصدر عام ٢٠٠٠ كتابًا بعنوان: Die syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache، (قراءة آرامية- سريانية للقرآن: مساهمة في فكّ شفرة اللغة القرآنية)، وتحدّث فيه عن وجود نسخة مبدئية من القرآن (قرآن أصلي) كُتِبَ بلغة مزيج بين العربية والآرامية، وقام بتحديد عدد من هذه الكلمات التي لها -في ظنّه- أصلًا آراميًّا سريانيًّا، وأشهرهم كلمة (حور عين) تعني: عناقيد العنب، كما أفترض أنّ (زَوَّجْنَاهُم) هي في الأصل (روَّحناهم)، ولكسنبرج خضع لنقودات عديدة؛ بسبب كونه يُدخل الكثير من مثل هذه التعديلات في المفردات القرآنية، انطلاقًا من دعواه المسبقة بوجود نصّ مبدئي تم تغييره أو الخطأ في رسمه، قد ترجمنا عرضًا نقديًّا لكتابه، كتبه فرنسوا دو بلوا، ترجمة: هدى عبد الرحمن النمر، يمكن مطالعته على قسم الترجمات بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

(Luxenberg 2000, 2007; de Blois 2003). وقد أثارت الرغبة في دحض هذا العمل موجَة من الدراسات المكثفة للنصّ القرآني، والتاريخ المبكّر للخطّ العربي، والنقوش في الجزيرة العربية والأقاليم المجاورة، والتاريخ الإسلامي المبكّر، وعلاقة القرآن بالتراث المسيحي. وشهد الاهتمام باللغة السريانية تطوّرًا ملحوظًا ونموًّا متسارعًا. وفي الوقت ذاته، أضفى الهجوم على مركز التجارة العالمي في ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ زخمًا إضافيًّا للدراسات حول القرآن، إِذْ سعى العديد من المحلّلين الغربيين إلى تفسير الدوافع التي تقف خلف لجوء المتشدّدين الإسلاميين إلى العنف.

وكان السبيل قد مُهِّد قبل نشر عمل لوكسنبرج، ففي عام ١٩٩٩ تأسّست Journal of Qur'anic Studies (مجلة الدراسات القرآنية) بغرض صريح هو إقامة حوار بين المناهج المتّبعة في دراسة القرآن في الغرب والعالم الإسلامي. وبالتزامن مع إطلاق المجلّة، انطلق في نفس العام مؤتمر دوري للدراسات القرآنية في (the School of Oriental and African Studies) كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن (SOAS)، وما زال يُعقد منذ ذلك الحين.

وفي عام ٢٠١٢، تأسّست International Qur'anic Studies Association (الجمعية الدولية للدراسات القرآنية) في الولايات المتحدة، وتعقد هذه المنظمة اجتماعًا وطنيًّا سنويًّا وآخر دوليًّا كلّ عامين، وتُصدر Journal of the International Qur'anic Studies Association (مجلة الجمعية الدولية للدراسات القرآنية).

وفي عام ٢٠٠٧، أعلنت Berlin-Brandenburg Academy of Sciences and Humanities (أكاديمية برلين-براندنبورغ للعلوم والإنسانيات) تمويل مشروع بحثي رقمي طويل الأمد يُسمَّى Corpus Coranicum (المدوَّنة القرآنية) لدراسة تاريخ النصّ القرآني[١]. ويمكن النظر إلى المشروع بوصفه إحياءً واستمرارًا وتوسّعًا للمشروع الذي اقترحه جوتهلف برجستراسر عام ١٩٣٠، وقد أفاد المشروع من أرشيف الصور الذي جمعه برجستراسر وحُفِظ، رغم الشائعات التي زعمت أنه دُمّر جرّاء قصف الحلفاء عام ١٩٤٤ (Higgins 2008). وإضافة إلى فحص عددٍ كبيرٍ من المخطوطات القرآنية المبكّرة، اضطلع مشروع (المدوَّنة القرآنية) بدراسة موسّعة لنصوص من العصور القديمة المتأخّرة[٢] والبيئة التي ظهر فيها القرآن، وإنتاج تفسير زمني مستوعب لسور القرآن. وقد أفضى المشروع، الذي ما يزال قائمًا حتى اليوم، إلى العديد من المنشورات المهمّة، ولعب دورًا بارزًا في تكوين الباحثين في هذا الحقل (Corpus Coranicum: https://corpuscoranicum.des/).

(١) كتب لنا الدكتور ديرك هارتفيغ -أحد الباحثين في المشروع- مقالًا موسّعًا حول المشروع وأهدافه، بعنوان: (طوربوس كورانيكوم): عرض وتعريف، ترجمة: د/ مصطفى حجازي، ديرك هارتفيغ، يمكن مطالعته على قسم الترجمات بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

(٢) العصور القديمة المتأخّرة حقبة استخدمها المؤرِّخون لوصف فترة الانتقال من العصور القديمة الكلاسيكية إلى العصور الوسطى في أوروبا القارية ومنطقة البحر المتوسط والشرق الأدنى، فتقابل تقريبًا أواخر القرن الثالث حتى القرن السادس أو السابع حسب الموقع. [المترجم].

ومن أعظم البواعث على إضفاء الطابع المؤسّسي على الدراسات القرآنية، ومِن أجلى مظاهر رواجها الفائق في الوقت الحاضر = كثرة المشاريع الممولة التي تتمحور حول القرآن. فقد موّل The European Research Council (مجلس البحوث الأوروبي) عدّة مشاريع، منها: مشروع " The European Qur'an: Islamic Scripture in European Culture and Religion 1150–1850" (القرآن الأوروبي: الكتاب المقدّس الإسلامي في الثقافة والدين الأوروبيين ١١٥٠- ١٨٥٠)، بقيادة مرسيديس جارسيا-أرينال Mercedes Garcia-Arenal، وجان لوب Jan Loop، وجون تولان John Tolan، وروبرتو توتولي Roberto Tottoli، ومقرّه في جامعات إسبانيا والدنمارك وفرنسا وإيطاليا، ومشروع " The Global Qur'an. Shared Traditions, Imperial Languages and Transnational Actors" (القرآن العالمي: تقاليد مشتركة ولغات إمبريالية وفاعلون متجاوزون للحدود)، بقيادة يوهانا بينك Johanna Pink ومقرّه في جامعة فرايبورغ بألمانيا، ومشروع " The Qur'an as a Source for Late Antiquity" (القرآن مصدرًا للعصر المتأخّر القديم)، بقيادة هولجر زيلنتين Holger Zellentin ومقرّه في جامعة توبنجن بألمانيا، ومشروع "How Many Ways Are There to Read the Quran?" (كم عدد القراءات الممكنة للقرآن؟) بقيادة ماريان فان بوتين Marijn van Putten في جامعة ليدن بهولندا، وغيرها. كما موّلت وكالات بحث وطنية مشاريع أخرى في الدراسات القرآنية، منها: " Unlocking the Medinan Qur'an" (كشف أسرار القرآن المدني) بقيادة نيكولاي سيناي Nicolai Sinai

في جامعة أكسفورد، و "Education between the Qur'an and the Bible" (التربية بين القرآن والكتاب المقدّس) بقيادة يوهانه كريستيانسن Johanne Christiansen في جامعة جنوب الدنمارك، وغيرها من المشاريع.

شهد العقدان الأخيران صدور أعمال مرجعية كبرى، مثل: Encyclopaedia of the Quran (موسوعة القرآن) بتحرير جين دامين مكوليف الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٦، وLe Coran des historiens (قرآن المؤرخين) تحرير محمد عليّ أمير معزي وجيلوم داي Guillaume Dye في عام ٢٠١٩، بالإضافة إلى العديد من الكتيبات أو الكتب المصاحبة للقرآن الصادرة عن دور نشر مرموقة، مثل: ويلي-بلاكويل (تحرير أندرو ريبين، عام ٢٠٠٦)، وكامبريدج (تحرير جين دامين مكوليف، ٢٠٠٦)، وأكسفورد (تحرير محمد عبد الحليم ومصطفى شاه، ٢٠٢٠)، وروتليدج (تحرير جورج آرتشر وماريا داكاكي ودانييل ماديغان، ٢٠٢١)، وArabic-English Dictionary of Qur'anic Usage (معجم عربي-إنجليزي لألفاظ القرآن) من وضع محمد عبد الحليم والسيد بدوي (ليدن: بريل، ٢٠٠٨).

وقد تناولت العديد من المصنّفات التي نُشرت منذ عام ٢٠٠٠ بشكل مباشر الصِّلات بين النصّ القرآني ومواد من التراث الكتابي. ومن بين الأعمال المجمّعة المهمة: مجلدان من تحرير جابرييل رينولدز Gabriel Reynolds بعنوان: The Qurʾān in its Historical Context (القرآن في سياقه التاريخي) (لندن: روتليدج، ٢٠٠٩) و New Perspectives on the Qurʾān: The Qurʾān in Its Historical Context 2 (أنظار جديدة حول القرآن: القرآن في سياقه التاريخي ٢)

(لندن: روتليدج، ٢٠١٤) و The Qurʾān in Context: Historical and Literary Investigations into the Qurʾānic Milieu (القرآن في السياق: دراسات تاريخية وأدبية حول البيئة القرآنية)، تحرير أنجيليكا نويفرت ونيكولاي سيناي ومايكل ماركس (ليدن: بريل، ٢٠١١). وتشمل الدراسات المتخصّصة التي تتناول صِلات القرآن بالتراثَيْن اليهودي والمسيحي أعمالًا، مثل: كتاب جابرييل رينولدز The Qurʾān and Its Biblical Subtext (القرآن وخلفيته الكتابية) (لندن: روتليدج، ٢٠١٢)، وكتاب عمران البدوي The Qur'an and the Aramaic Gospel Traditions (القرآن وتقاليد الإنجيل الآرامية) (لندن: مطبعة روتليدج، ٢٠١٣)؛ وكتاب هولجر زيلنتين The Qurʾān's Legal Culture: The Didascalia Apostolorum as a Point of Departure (الثقافة القانونية للقرآن: الدسقولية[١] نقطة انطلاق) (توبنجن: موهر سيبك، ٢٠١٣)؛ وكتاب The Making of a Forefather: Abraham in Islamic and Jewish Exegetical Narratives (صنع سلف: إبراهيم في السرديات التفسيرية الإسلامية واليهودية) تأليف شاري إل. لوين Shari L. Lowin (ليدن: بريل، ٢٠٠٦)؛ وكتاب The Family of Abraham: Jewish, Christian and Muslim Interpretations (آل إبراهيم: تأويلات يهودية ومسيحية وإسلامية) تأليف كارول باخوس Carol Bakhos (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، ٢٠١٤)، وكتاب The Golden Calf between Bible and Qur'an: Scripture, Polemic, and

(١) ديدسكاليا أو الدسقولية أو ديدسكاليا أبوستولوروم، نَصٌّ كنسي مسيحيّ قديم، كُتب أصلًا باللغة اليونانية، ويُرجَّح أنه كُتب في القرن الثالث الميلادي (حوالي ٢٣٠م)، وتعني: تعاليم الرسل أو شرح قوانين الرسل. [المترجم].

Exegesis from Late Antiquity to Islam (العجل الذهبي بين الكتاب المقدّس والقرآن: النصّ الديني والجدل والتفسير من أواخر العصور القديمة إلى الإسلام) تأليف مايكل بريجيل Michael Pregill (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٢٠). ومن الجدير بالذكر أيضًا ترجمة أندرو دروج Andrew Droge للقرآن The Qurʾan: A New Annotated Translation (ترجمة جديدة مع تعليقات توضيحية) (شيفيلد: إكوينوكس، ٢٠١٣)، وكتاب جابرييل رينولدز The Qurʾan and the Bible (القرآن والكتاب المقدّس) (نيو هيفن: مطبعة جامعة ييل، ٢٠١٨)، اللذان يحاولان تقديم العديد من الروابط التفصيلية بين مقاطع وآيات القرآن وما يقابلها من نظائر وأمثلة في الكتاب المقدّس إلى جمهور واسع (Droge 2013; Reynolds 2018). وقد أُشير آنفًا إلى العرض المتقن لأنجيليكا نويفرت Der Koran als Text der Spätantike، الذي تُرجم إلى الإنجليزية تحت عنوان: The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage (القرآن والعصور القديمة المتأخرة: إرث مشترك).

وفي أمريكا الشمالية وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا، ناهيك عن تركيا وإيران وإندونيسيا وأماكن أخرى في العالم الإسلامي، شهد مجال الدراسات القرآنية نهضة هائلة في حجم الإنتاج العلمي. ويشارك في المجال عددٌ كبيرٌ من الباحثين، منهم كثيرون يعتبرون الدراسات القرآنية مجال اهتمامهم الأكاديمي الرئيس. وقد أُنشئت قنوات تواصل منتظمة بين الباحثين، وتكاملت الدراسات في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية بشكلٍ كبيرٍ. ويمكن للطلاب الجُدد في هذا المجال أن يتلقوا تدريبًا على يد متخصّصين في الدراسات القرآنية، ونيل

درجة الدكتوراه عن أعمال تتعلّق بجوانب مختلفة من القرآن. كما أن التوافر الواسع للكتب الإرشادية والمراجع العلمية الموسّعة يُقلّل من احتمالية تجاهل هذا المجال لمساحات بحثية كاملة في المستقبل.

وقد غيّرت الدراسات القرآنية المعاصرة التي تتناول المواد الكتابية بؤرة اهتمامها، ففي حين كان الباحثون الأوائل يسارعون إلى اعتبار عناصر من القرآن مقتبسة، ويعزون أيّ اختلاف بين الرواية القرآنية ونظيرتها الكتابية لواقعةٍ ما إلى التباس أو أخطاء في النقل، فإنّ باحثي العقود الأخيرة باتوا ينظرون إلى القرآن باعتباره نصًّا في حوار مع السوابق الكتابية. وقد تجنّبوا النموذج الذي يُوحي به عنوان كتاب أبراهام جيجر: (ما الذي أخذه محمد [ﷺ] من اليهودية؟)، الذي يفترض وجود عمليّات مباشرة من النقل والإدراج. وربما كان يدور في خلدهم بعض التصريحات المتطرّفة خاصّة مثل مقولة هيرشفلد: «القرآن، كتاب الإسلام المدرسي، ليس في حقيقته سوى نسخة مزوّرة من الكتاب المقدس» (Hirschfeld 1902: ii). وعوضًا عن هذا التصوّر الاختزالي، فإنّ الباحثين المعاصرين، حين يلاحظون أنّ النصّ القرآني يُعدّل سمة معيّنة في رواية كتابية، يسعون إلى استكشاف الغرض الأيديولوجي أو البلاغي الذي يخدمه النصّ في شكله الحالي. ومن الأمثلة البسيطة على ذلك إشارات القرآن إلى خَلْق الله للعالم في ستة أيام؛ إِذْ تُظهِر هذه المواضع اطّلاعًا على رواية الخَلْق الواردة في سفر التكوين أو في الشروح المفسّرة له، غير أنّها في الوقت نفسه تُغفِل ذِكْر راحة الله في اليوم الأخير، ومن ثمّ لا تُقدِّم تفسيرًا لتأسيس السبت. هذا الاختلاف الواضح بين النصَّيْن ليس نتيجة خَلَل في النقل أو سوء فهم، بل يعبّر عن خيار عقدي. فبما أنّ الله متعالٍ وكامل، فإنّ القول بأنه تَعِب واستراح يُعَدّ

خطأً عقديًّا؛ لذا استوجب هذا الجانب من الرواية في سفر التكوين تعديلًا. وبدلًا من الإشارة في سفر التكوين إلى راحة الله في اليوم السابع، يُشير القرآن إلى استوائه على العرش، لا بصفته استراحة، بل بوصفه تدبيرًا للكون. وكما أشار دونر، فإنّ بعض الباحثين لا يزالون يكتبون ضمن النموذج الاختزالي القديم الذي يرى القرآن بوصفه مُتأثّرًا فحسب، غير أنّ كثيرين باتوا يتبنّون تصوّرًا أعمق يرى أنّ التعديلات الظاهرة على العناصر الكتابية ضمن النصّ القرآني تعبّر عن تفاعلات معقّدة ومقصودة مع التراث الكتابي تنبع من اعتبارات عقدية أو أيديولوجية (Pregill 2007; Saleh 2010; Reynolds 2010; El-Badawi 2014; Donner 2019). وقد أجاد عمران البدوي حين أطلق على هذه الظاهرة مصطلح (إعادة الصياغة العقدية) (El-Badawi 2014: 5–10).

ولعلّ أعسر المسائل التي تواجه الدراسات المعنية بعلاقة القرآن بالتقاليد الكتابية هي مسألة الانقسام الأيديولوجي. أولًا، لا يزال النقاش محتدمًا بشأن البيئة الأصلية التي نزل فيها القرآن؛ كما عبّر جودارزي Goudarzi باختصار، فإنّ الباحثين مختلفون حول ما إذا كانت البيئة التي نشأ فيها القرآن قد تأثرت بالتراث الكتابي بشكلٍ ضئيل أو جزئي أو كامل، وهذا الاختلاف له تأثيرات كبيرة على تفسير القرآن (Goudarzi 2020: 425). ولا يزال العديد من الباحثين يواصلون إجراء دراسات تتجاهل تمامًا الخلفية الكتابية للقرآن، وهذا هو النهج الذي يتبعه العديد من المتخصّصين في الدراسات القرآنية في العالم الإسلامي (Daneshgar 2020: 56–58). وعلى الطرف المقابل من هذا الطيف، بدأ عدد متزايد من الباحثين في تبنّي فكرة ضرورة دراسة القرآن في ضوء بيئة العصور القديمة المتأخّرة، غير أنّ هذا المفهوم ذاته يختلف في

مضمونه حتى بين أولئك الذين يتبنّون هذا التوجّه عمومًا. فبالنسبة لبعضهم، يعني هذا التشكيك الجذري في جميع المصادر الإسلامية، واعتبار (السردية الإسلامية) مؤامرة، وتفسير القرآن والتاريخ الإسلامي المبكّر استنادًا إلى شهادات المصادر غير الإسلامية وحدها. يروِّج هؤلاء الباحثون لفَصْل القرآن عن سياقه الإسلامي، ويسعون لوَضْعه حصرًا -على الأقل في الأوساط الأكاديمية الغربية- ضِمْن دراسات العصور القديمة المتأخرة (Hughes 2021; Shoemaker 2011, 2021). أمّا النهج الثاني، فيركّز على دراسة التقاليد الكتابية من أجل تفسير القرآن، بهدف تصحيح الاعتماد المُفْرط على ما أصبح يُعَدّ عقيدة إسلامية راسخة، ولكن دون اللجوء إلى الشكوك الجذرية أو رفض كلّ ما هو إسلامي كما يفعل الباحثون في المجموعة الأولى (Zellentin 2013; Witztum 2014). بينما يتمثّل التوجّه الثالث في النظر إلى بيئة العصور القديمة المتأخّرة بشكلٍ شاملٍ، بحيث يُعترف بتأثيرها في القرآن، وفي الوقت نفسه يُنظر إلى القرآن باعتباره جزءًا من حوار حضاري حول النصوص المقدّسة، إلى جانب الكتاب المقدّس العبري والعهد الجديد (Neuwirth 2010).

لقد أدّى تجدّد التركيز على علاقة القرآن بالموروث الكتابي إلى إدراك واسع للروابط الوثيقة بين النصوص المقدّسة الإسلامية واليهودية والنصرانية. ومن المُتوقّع أن يُفضي هذا التطوّر في الدرس الأكاديمي إلى تعميق الوعي بالروابط بين القرآن والتراث الكتابي، غير أنه قد لا يُحدث تحولًا جذريًّا في الثقافة الشعبية؛ لأنه يواجه معارضة قوية من كِلَا الجانبين: من جهة، إنجيليّون متعصبون عنصريّون ومعادون للمسلمين يسعون إلى التأكيد على أنّ الإسلام لا يشبه المسيحية بأيّ حال، ومن جهة أخرى مسلمون يتبنّون خطابًا انتصاريًّا،

متحدّيًا أو دفاعيًّا يصرّون على إبراز التمايز الجوهري للإسلام وتفوّقه على اليهودية والمسيحية. ولن يكون من السهل التوصّل إلى إجماع بشأن السياق التاريخي الذي نشأ فيه القرآن، ولا بشأن مدى وطبيعة علاقته بالتراث الكتابي.

شكر وتقدير:

أتقدّم بجزيل الشكر لزملائي الأفاضل توماس بورمان Thomas Burman، ومانويلا سيباليوس Manuela Ceballos، وديرك هارتفيج Dirk Hartwig، وجوسلين هندريكسون Jocelyn Hendrickson، وجوزيف لاوري Joseph Lowry، ومايكل ماركس Michael Marx، ونورا ك. شميد Nora K. Schmid، وشوكت توراوا Shawkat Toorawa؛ على تعليقاتهم القيّمة على مسوّدات هذه الدراسة.

المراجع:

أ. المراجع العربية:

- الداني (١٩٣٠)، **التيسير في القراءات السبع**، عُني بتصحيحه: أوتو برتزل، لايبزيج: ف. أ. بروكهاوس.
- الداني (١٩٣٢)، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، مع كتاب النقط**؛ كتابان لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتو برتزل، لايبزيج: ف. أ. بروكهاوس.
- ابن خالويه (١٩٣٤)، **مختصر في شواذ القرآن**، تحقيق: جوتهلف برجستراسر، الجمعية الشرقية الألمانية.
- الجزري، محمد بن محمد (١٩٣٥)، **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، مجلدين، تحقيق: جوتهلف برجستراسر وأوتو برتزل، القاهرة: مطبعة السعادة.
- السيوطي، جلال الدين (١٨٥٧)، **الإتقان في علوم القرآن**. ألويس شبرنجر، أ. الدين، ب. والدين خان، س. كلكتا: الجمعية الآسيوية في البنغال.

ب. المراجع الأجنبية:

- Bachmann, L. (1925) **Jesus im Koran**. doctoral dissertation, Frankfurt-am-Main, Frankfurt University (University Library Sign. Dq 2/500 [DA 1/105]).
- Bell, R. (1926) **The Origin of Islam in its Christian Environment**. London: Macmillan.
- Bell, R. (trans.) (1937) **The Qur'an, translated, with a Critical Re-Arrangement of the Surahs**, 2 vols. Edinburgh: T. & T. Clark.
- Bell, R. (1945) "Muhammad's Knowledge of the Old Testament", in **Studia Semitica et Orientalia** II. Glasgow: Glasgow University Oriental Society: 1-20.
- Bell, R. (1953) **Introduction to the Qur'an**. Edinburgh University.
- Bell, R. and Watt, W. M. (1970) **Bell's Introduction to the Qur'an, Completely Revised and Enlarged**. Edinburgh: Edinburgh University.
- BergstraBer, G. (1911) **Die Negationen im Kur'an: Ein Beitrag zur historischen Grammatik der Arabischen**. Leipzig: Druck von August Pries.
- BergstraBer, G. (1914) **Verneinungs- und Fragepartikeln und Verwandtes im Kur'an**. Leipzig: J. C. Hinrichs.
- BergstraBer, G. (1930) **Plan eines Apparatus Criticus zum Koran**. Munich: Verlag der Bayerischen Akademie der Wissenschaften.
- BergstraBer, G. (1933) **Nichtkanonische Koranlesarten im Muhtasab des Ibn Ginni Munich**: Verlag der Bayerischen Akademie der Wissenschaften.

- BergstraBer, G. and Pretzl, O. (1938) **Geschichte des Qorans von Theodor Noldeke, Zweite, vollig umgearbe- itete Auflage, Dritter Teil: Die Geschichte desKorantexts**. Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung. Blachere, R. (1947-50) *Le Coran*, 3 vols. Paris: G.-P. Maisonneuve.
- Blachere, R. (1947, 1959) **Introduction au Coran**. Paris: G.-P. Maisonneuve.
- Bobzin, H. (2004) "Pre-1800 Preoccupations", vol. 4, in **Encyclopedia of the Qur'an**. Leiden: Brill: 235-53.
- Bultmann, R. (1949) **Das Urchristentum im Rahmen der antiken Religionen**. Zurich: Artemis-Verlag.
- Bultmann, R. (1956) **Primitive Christianity in its Contemporary Setting**. Translated from the German by Fuller, R. H. New York: World Publishing.
- Cecini, U. (2020) "Latin Christianity Engaging with the Qur'an," in Pratt, D. and Tieszen, C. (eds.) **Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History. Volume 15**. **Thematic Essays (600-1600)**. Leiden: Brill: 227-53.
- Cook, M. (2000) **The Koran: A Very Short Introduction**. Oxford: Oxford University Press.
- Corpus Coranicum: https://corpuscoranicum.de/
- Cragg, A. K. (1956) **The Call of the Minaret**. Oxford: Oxford University Press.
- Cragg, A. K. (1971) **The Event of the Qur'an: Islam in Its Scripture**. London: George Allen and Unwin.
- Cragg, A. K. (2006) **The Qur'an and the West**. Washington, DC: Georgetown University Press.
- Crone, P. (1987) **Meccan Trade and the Rise of Islam**. Princeton: Princeton University Press.

- Crone, P. (1992) Serjeant and Meccan Trade. **Arabica** 39: 216-240.
- Crone, P. (1994) Two Legal Problems Bearing on the Early History of the Qur'an. **Jerusalem Studies in Arabic and Islam** 18: 1-37.
- Crone, P. (2015, 2016) Jewish Christianity and the Qur'an. **Journal of Near Eastern Studies** (Part One) 74 (2): 225-53; (Part Two) 75 (1): 1-21.
- Crone, P. and Cook, M. (1977) **Hagarism: The Making of the Islamic World**. Cambridge University Press.
- Dahm, V. (1993) **Das jüdische Buch im Dritten Reich**, 2nd ed. Munich: C. H. Beck Verlag.
- Daneshgar, M. (2020) **Studying the Qur'an in the Muslim Academy**. Oxford University Press.
- Daniel, N. (1960) **Islam and the West: The Making of an Image**. Edinburgh: Edinburgh University Press. Danielou, J. (1958) *Theologie du Judeo-Christianisme*. Paris: Editions du Cerf.
- de Blois, F. (2002) *Naṣrānī* (Ναζωραιος) and *ḥanīf* (εθνικός): Studies on the Religious Vocabulary of Christianity and of Islam. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, 65: 1-30.
- de Blois, F. (2003) Review of **Die syro-aramaische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlusselung der Koransprache. Journal of Qur'anic Studies** 5 (1): 92-97.
- Deroche, F. (2005) **Le Coran**. Paris: Presses Universitaires de France.
- Deroche, F. (2015) "La genese de la *Geschichte des Qorans*", in Deroche, F., Robin, C., and Zink, M. (eds.) **Les origines du**

Coran, le Coran des origines. Paris: Academie des Inscriptions et Belles- Lettres: 1-25.

- Donner, F. (2010) **Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam**. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.
- Donner, F. (2019) "Reflections on the History and Evolution of Western Study of the Qur'an, from ca. 1900 to the Present", in Sirry, M. (ed.) **New Trends in Qur'anic Studies: Text, Context, and Interpretation**. Atlanta: Lockwood Press: 21-44.
- Droge, A.J. (2013) **The Qur'an: A New Annotated Translation**. Sheffield: Equinox.
- Drucker, P. F. (1994) **Adventures of a Bystander**. Newark, New Jersey: Transaction Publishers.
- Dye, G. (2021) Concepts and Methods in the Study of the Qur'an. **Religions** 12 (8): 1-17.
- El-Badawi, E. I. (2014) **The Qur'an and the Aramaic Gospel Traditions**. London: Routledge.
- Ende, W. (1976) Johann W. Fuck (1894-1974). **Der Islam** 53 (2): 193-195.
- Ernst, C. W. (2011) **How to Read the Qur'an: A New Guide, with Select Translations**. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Ettinghausen, R. (1934) **Antiheidnische Polemik im Koran**. Gelnhausen: Kalbfleisch.
- Firestone, R. (1990) **Journeys in Holy Lands: The Evolution of the Abraham-Ishmael Legends in Islamic Exegesis**. Albany: State University of New York Press.
- Fischer, A. (1906a) "Eine Qoran-Interpolation", in Bezold, C. (ed.) **Orientalische Studien Theodor Noldeke zum**

siebzigsten Geburtstag (2 Marz 1906) gewidmet von Freunden und Schulern, 2 vols. GieBen: A. Topelmann: vol. 1, 33-55.

- Fischer, A. (1906b) Zu Sura 101,6. **Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft**. 60: 371-4.
- Fischer, A. (1911) Erklärung von Sure 2,191. **Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft**. 65: 794-6.
- Fischer, A. (1912) Noch einmal Sure 2,191. **Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft**. 66 (2): 294-299.
- Fischer, A. (1931) An-nagm Sure 55,5. **Islamica**. 5 (2): 97-110.
- Fischer, A. (1932) Zu meinem Aufsatz "An-nagm Sure 55,5". **Islamica**. 5 (3): 376-8.
- Fischer, A. (1933) Altarabischer Higa' im Koran: Die 111. Sure. **Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.** 86: 10-12.
- Fischer, A. (1935) Über den Wert der vorhandenen Koranübersetzungen. **Berichte uber die Verhandlungen der Koniglich Sachsischen Gesellschaft der Wissenschaften**. 87 (3): 2-4.
- Fischer, A. (1937) **Der Wert der vorhandenen Koranübersetzungen und Sure 111**. Hirzel.
- Foster, B. R. (1999) Nobody's Pet Chicken: Theodor Noldeke and Charles Cutler Torrey. **al-ʿUṣūr al-wusṭā**. 11 (1): 12-15.
- Fück, J. W. (1936) Die Originalitat des arabischen Propheten. **Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft**. 90: 509-525.
- Fück, J. W. (1950) Nachruf August Fischer (1865-1949). **Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft**. 100: 1-18.

- Goitein, S. D. F. (1934) Josef Horovitz. **Der Islam**. 22: 122-7.
- Goudarzi, M. (2020) Peering behind the Lines. **Harvard Theological Review**. 113 (3): 421-35.
- Graham, W. A. (1985) "The Qur'an as Spoken Word: An Islamic Contribution to the Understanding of Scripture", in Martin, R. C. (ed.) **Approaches to Islam in Religious Studies**, Tucson: University of Arizona Press: 23-40.
- Graham, W. A. (1987) **Beyond the Written Word: Oral Aspects of Scripture in the History of Religion**. Cambridge: Cambridge University Press.
- Graves, M. (2016) Form Criticism or a Rolling Corpus: The Methodology of John Wansbrough Through the Lens of Biblical Studies. **Journal of the International Qur'anic Studies Association**. 1: 47-92.
- Hammerstein, N. (1989) **Die Johann-Wolfgang Goethe UniversitatFrankfurt-am-Main**. Band I: *1914 bis 1950*. Alfred Metzner Verlag.
- Harif, H. (2016) Islam in Zion? Yosef Yo'el Rivlin's Translation of the Qur'an and Its Place within the New Hebrew Culture. **Naharaim**. 10 (1): 39-55.
- Hartshorne, E. Y. (1937) **The German Universities and National-Socialism**. Harvard University Press.
- Hartwig, D. (2013) "Die 'Wissenschaft des Judentums' als Grunderdisziplin der kritischen Koranforschung: Abraham Geiger und die erste Generation judischer Koranforscher", in Wiese, C., Homolka, W., and Brechenmacher, T. (eds.) **Judische Existenz in der Moderne. Abraham Geiger und die Wissenschaft des Judentums**. Berlin: Walter de Gruyter: 297-319.

- Hartwig, D., Homolka, W. Marx, M. J., and Neuwirth, A. (eds.) (2008) **Im vollen Licht der Geschichte: Die Wissenschaft des Judentums und die Anfange der kritischen Koranforschung**. Wurzburg: Ergon Verlag.
- Hawting, G.R. (1999) **The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam**. Cambridge: Cambridge University Press.
- Heschel, S. (1999) Revolt of the Colonized: Abraham Geiger's *Wissenschaft des Judentums* as a Challenge to Christian Hegemony in the Academy. **New German Critique**. 77: 61-85.
- Heschel, S. (2018) **Judischer Islam. Islam und judisch-deutsche Selbstbestimmung**. Translated from the English by D. Hartwig. Berlin: Mathes und Seitz.
- Heuberger, R. (2005) **Rabbiner Nehemias Anton Nobel. Die judische Renaissance in Frankfurt-am- Main**. Frankfurt: Societats-Verlag.
- Higgins, A. (2008) The Lost Archive. **Wall Street Journal**, 12 January 2008: 1.
- Hirschfeld, H. (1902) **New Researches into the Composition and Exegesis of the Quran**. London: Royal Asiatic Society.
- Horovitz, J. (1926) **Koranische Untersuchungen**. Berlin: Walter de Gruyter.
- Hughes, A. W. (2021) "The Current Status and Problems of Islamic Origins," in Mortensen, M. B. et al. (eds.) **The Study of Islamic Origins**. Berlin: De Gruyter: 11-28.
- Jager, G. (2008a) "Josef Horovitz - Ein judischer Islamwissenschaftler an der Universitat Frankfurt und der Hebrew University of Jerusalem,44 in Hartwig, D., Homolka, W., Marx, M. J. and Neuwirth, A. (eds.) **Im vollen Licht der Geschichte: Die Wissenschaft des Judentums und die**

Anfange der kritischen Koranforschung. Wurzburg: Ergon Verlag: 117-30.

- Jager, G. (2008b) "Der judische Islamwissenschaftler Josef Horovitz und der Lehrstuhl fur semitische Philologie an der Universitat Frankfurt-am-Main 1915-1949", in Kobes, J. and Hesse, J.-O. (eds.) **Frankfurter Wissenschaftler zwischen 1933 und 1945**. Gottingen: Wallstein: 61-79.
- Jeffery, A. (1937) **Materials for the History of the Text of the Qur'an: The Old Codices**. Leiden: Brill.
- Johnston-Bloom, R. (2014) Jews, Muslims, and Bildung: The German-Jewish Orientalist Gustav Weil in Egypt. **Religion Compass**. 8: 49-59.
- Johnston-Bloom, R. (2018a) "Gustav Weil's *Koranforschung* and the Transnational Circulation of Ideas: The Shaping of Muhammad as Reformer", in Fraisse, O. (ed.) **Modern Jewish Scholarship on Islam in Context: Rationality, European Borders, and the Search for Belonging**. Berlin: De Gruyter: 95-119.
- Johnston-Blum, R. (2018b) "'Dieses wirklich westostlichen Mannes': The German-Jewish Orientalist Josef Horovitz in Germany, India, and Palestine", in Heschel, S. and Ryad, U. (eds.) **The Muslim Reception of European Orientalism: Reversing the Gaze**. London: Routledge: 168-183.
- Lassner, J. (1993) **Demonizing the Queen of Sheba: Boundaries of Gender and Culture in Post-Biblical Judaism and Medieval Islam.** Chicago: University of Chicago Press.
- Lassner, J. (1999) "Abraham Geiger: A Nineteenth-Century Reformer on the Origins of Islam", in Kramer, Martin S. (ed.) **The Jewish Discovery of Islam: Studies in Honor of Bernard Lewis**. Tel Aviv: Tel Aviv University Press: 103-35.

- Levy, A. (2020) "A Discipline in a Suitcase: The Scientific Nachlass of Josef Horovitz", in Gallas, E., Holzer-Kawalko, A., Jesser, C. and Weiss, Y. (eds.) **Contested Heritage: Jewish Cultural Property after 1945**. Gottingen: Vanderhoeck and Rupert: 117-127.
- Lewis, B. (1968) The Pro-Islamic Jews. **Judaism**. 4: 391^04.
- Lichtenstadter, I. (1975) A Note on the *Gharaniq* and Related Qur'anic Problems. **Israel Oriental Studies**. 5: 54-61.
- Lichtenstadter, I. (1991) And Become Ye Accursed Apes. **Jerusalem Studies in Arabic and Islam**. 14: 153-175.
- Luxenberg, C. (2000) **Die Syro-Aramaische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlusselung der Koransprache**. Berlin Verlag Hans Schiler.
- Luxenberg, C. (2007) **The Syro-Aramaic Reading of the Koran — A Contribution to the Decoding of the Koran**. Berlin: Verlag Hans Schiler.
- McAuliffe, J. D. (1982) Exegetical Identification of the *Sabi'un*. **The Muslim World**. 72: 95-106.
- McAuliffe, J. D. (1983) Persian Exegetical Evaluation of the *Ahl al-Kitab*. **The Muslim World** 73: 87-105.
- McAuliffe, J. D. (1991) **Qur'anic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis**. Cambridge: Cambridge University Press.
- Madigan, D. A. (1995) Reflections on Some Current Directions in Qur'anic Studies. **The Muslim World**. 85 (3-4): 345-362.
- Manzoor, S. P. (1987) "Method against Truth: Orientalism and Qur'anic Studies", **Muslim World Book Review**. 7 (4): 33-49.
- Mattson, I. (2008, 2013) **The Story of the Qur'an: Its History and Place in Muslim Life**. Chichester: Wiley-Blackwell.

- Tilman Nagel, T. (1983) **Der Koran: Einführung, Texte, Erlauterungen**. Munich: C.H. Beck.
- Neuwirth, A. (2007) Orientalism in Oriental Studies: Qur'anic Studies as a Case in Point. **Journal of Qur'anic Studies**. 9 (2): 115-27.
- Neuwirth, A. (2008) "'In the Full Light of History': The *Wissenschaft des Judentums* and the Beginnings of Critical Qur'an Research", translated by Bowman, P. in Hartwig, D., Homolka, W., Marx, M. J., and Neuwirth, A. (eds.) **Im vollen Licht der Geschichte: Die Wissenschaft des Judentums und die Anfange der kritischen Koranforschung**, Wurzburg: Ergon Verlag: 11-24.
- Neuwirth, A. (2010) **Der Koran als Text der Spatantike: Ein europaischen Zugang**. Berlin: Verlag der Weltreligionen.
- Neuwirth, A. (2019) **The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage**. Translated by Samuel Wilder. Oxford University Press, 2019.
- Nevo, Y. D. and Koren, J. (2003) **Crossroads to Islam: The Origins of the Arab Religion and the Arab State**. Prometheus Books.
- Noldeke, T. (1860) **Geschichte des Qorans**. Leipzig: Verlag der Dieterich'schen Buchhandlung.
- Noldeke, T. and Schwally, F. (1909, 1919) **Geschichte des Qorans**, 2 vols. 2nd ed. Leipzig: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung.
- Ohlig, K.-H. (ed.) (2013) **Early Islam: A Critical Reconstruction Based on Contemporary Sources**. Amherst, New York: Prometheus Books.

- Pregill, M. E. (2007) The Hebrew Bible and the Quran: The Problem of the Jewish 'Influence' on Islam. **Religion Compass**. 1 (6): 643-659.
- Pretzl, O. (1934) **Die Fortfuhrung des Apparatus Criticus zum Koran**. Munich: Verlag der Bayerischen Akademie der Wissenschaften.
- Reynolds, G. S. (2010) **The Qur'an and Its Biblical Subtext**. London: Routledge.
- Reynolds, G. S. (2018) **The Qur'an and the Bible: Text and Commentary**. New Haven: Yale University Press.
- Rippin, A. (1981) Ibn 'Abbas's *Al-lughat fi'l-Qur'an*. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**. 44: 15-25.
- Rippin, A. (1982) The Present Status of *tafsir* Studies. **The Muslim World**. 72: 224-238.
- Rippin, A. (1983) Ibn 'Abbas's *Gharib al-Qur'an*. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**. 46: 332-333.
- Rippin, A. (1984) al-Zuhn, *naskh al-Qur'an* and the problem of early *tafsir* texts. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**. 47: 22-43.
- Rippin, A. (1985) The Exegetical Genre *asbab al-nuzul*: A Bibliographical and Terminological Survey. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**. 48: 1-15.
- Rippin, A. (1988) The Function of *Asbab al-Nuzul* in Qur'anic Exegesis. **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**. 51: 1-20.
- Rippin, A. (ed.) (1988) **Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'an**. Oxford: Clarendon Press.
- Rivlin, J. J. (1934) **Das Gesetz im Koran: Kultus und Ritus**. Jerusalem: Bamberger & Wahrmann.

- Rivlin, J. J. (trans.) (1936) **Al-Qur'an**, 2 vols. Tel Aviv: Dvir.
- Roberts, R. (1907) **Das Familienrecht im Qoran**, Leipzig: A. Pries.
- Roberts, R. (1908) **Das Familien-, Sklaven- undErbrecht im Qoran**. Leipzig: J. C. Hinrichs.
- Robinson, N. (1996) **Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text**. London: SCM Press.
- Rodwell, J. M. (1861) **The Koran in Translation with the Suras arranged in chronological order**. London: Williams and Norgate.
- Rosenthal, F. (2008) "The History of Heinrich Speyer's **Die biblische Erzahlungen im Qoran**", in Hartwig, D., Homolka, W., Marx, M. J., and Neuwirth, A. (eds.) **Im vollen Licht der Geschichte: Die Wissenschaft des Judentums und die Anfange der kritischen Koranforschung,** Wurzburg: Ergon Verlag: 113-16.
- Saleh, W. A. (2010) "Etymological Fallacy and Qur'anic Studies: Muhammad, Paradise, and Late Antiquity", in Neuwirth, A., Sinai, N., and Marx, M. (eds.) **The Qur'an in Context: Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu**. Leiden: Brill: 649-98.
- Sanchez, F. del R. (2018) **Jewish Christianity and the Origins of Islam**. Turnhout: Brepols.
- Schoes, H.-J. (1949) **Theologie und Geschichte des Judenchristentums**. Tubingen: Verlag J.C.B. Mohr.
- Serjeant, R. B. (1978) Review of **Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation** by J. Wansbrough; **Hagarism: The Making of the Islamic World** by Patricia

Crone and Michael Cook. **The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland**. 1: 76-78.

- Serjeant, R. B. (1990) Review of Patricia Crone, **Meccan Trade and the Rise of Islam**. **Journal of the American Oriental Society**. 110 (3): 472-486.
- Shoemaker, S. J. (2011) **The Death of a Prophet: The End of Muhammad's Life and the Beginnings of Islam**. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Shoemaker, S. J. (2021) "A New Arabic Apocryphon from Late Antiquity: The Qur'an", in Mortensen, M. B. et al. (eds.) **The Study of Islamic Origins: New Perspectives and Contexts**. Berlin: Walter de Gruyter: 29-44.
- Sinai, N. (2017) **The Qur'an: A Historical-Critical Introduction**. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Sirry, M. (2019) **New Trends in Qur'anic Studies: Text, Context, and Interpretation**. Atlanta: Lockwood Publishers.
- Sirry, M. (2021) **Controversies over Islamic Origins: An Introduction to Traditionalism and Revisionism**. Newcastle upon Tyne: Cambridge Scholars Publishing.
- Smith, W. C. (1962) **The Meaning and End of Religion: A New Approach to the Religious Traditions of Mankind**. New York: Macmillan.
- Smith, W. C. (1963) **The Faith of Other Men**. New York: Dutton.
- Smith, W. C. (1967) **Questions of Religious Truth**. New York: Scribner.
- Smith, W. C. (1976) **Religious Diversity: Essays**. New York: Harper Collins.

- Smith, W. C. (1977) **Belief and History**. Charlottesville: University of Virginia Press.
- Smith, W. C. (1977) **Islam in Modern History: The Tension between Faith and History in the Islamic World**. Princeton: Princeton University Press.
- Smith, W. C. (1980) The True Meaning of Scripture: An Empirical Historian's Non-Reductionist Interpretation of the Qur'an. **International Journal of Middle East Studies**. 11: 487-505.
- Smith, W. C. (ed.) (1981) **On Understanding Islam: Selected Studies**. The Hague: Mouton Publishers.
- Smith, W. C. (1989) **Towards a World Theology: Faith and the Comparative History of Religion**. New York: Macmillan.
- Smith, W. C. (1993) **What Is Scripture? A Comparative Approach**. Philadelphia: Fortress Press.
- Speyer, H. (1929) "Neue bibelgeschichtliche Literatur", **Monatsschrift für Geschichte und Wissenschaft des Judentums**. 73 (9-10): 345-349.
- Speyer, H. (1931) **Die biblische Erzahlungen im Qoran**. Grafenhainichen: C. Schulze. Reprint Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1961.
- Spitaler, A. (1935**) Die Verszahlung des Koran nach islamischer Uberlieferung**. Munich: Verlag der Bayerischen Akademie der Wissenschaften.
- Stewart, D. J. (2016) "Wansbrough, Bultmann, and the Theory of Variant Traditions in the Qur'an", in Neuwirth, A. and Sells, M. (eds.) **Qur'anic Studies Today**. London: Routledge: 17-51.
- Stewart, D. J. (2017) "Reflections on the State of the Art in Western Qur'anic Studies", in Bakhos, C. and Cook, M. (eds.)

Islam and Its Past: Jahiliyya, Late Antiquity, and the Qur'an, Oxford: Oxford University Press: 4-68.

- Tolan, J. V. (2002) **Saracens: Islam in the Medieval European Imagination**. New York: Columbia University Press.
- Udovitch, A. L. and Rosenthal, F. (1985) **Shelomo Dov Goitein 1900-1985**. Princeton: The Institute for Advanced Study.
- Welch, A. T. (1986) "al-Kuran", **EI^2**. Leiden: Brill: 5: 400-32.
- Wheeler, B. (2002) **Moses in the Qur'an and Islamic Exegesis**. London: Routledge/Curzon.
- Witztum, J. (2014) "Variant traditions, relative chronology, and the study of intra-Quranic parallels", in Ahmed, A. Q. et al. (eds.) **Islamic Cultures, Islamic Contexts**. Leiden: Brill: 1-50.
- Zellentin, H. (2013) **The Qur'an's Legal Culture**: **The Didascalia Apostolorum as a Point of Departure**. Tubingen: Mohr Siebeck.

فهرس الموضوعات

نبذة تعريفية بديفين ج. ستيوارت Devin J. Stewart (١٩٦٢ -) ٢
مقدمة ٣
الدراسة ٥
١. مقدمة ٧
٢. الانتشار الكبير للدراسات القرآنية ١٠
٣. التشكُّل التاريخي للدراسات القرآنية ٣١
٤. إشكالية النقل الشفهي ٤٩
٥. مواقف تجاه النظريات المختزلة للتأثير ٥١
٦. الاهتمام بالتفسير القرآني في مناهج دراسة النصوص الإسلامية ٥٥
٧. ردود الفعل على كتاب الهاجرية ومؤلفات وانسبرو ٦٨
خاتمة ٧٦
شكر وتقدير ٨٧
المراجع ٨٨
فهرس الموضوعات ١٠٤